

الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم اعالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات الأجنبية

الموضوع :

صورة المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا
- تغريبة لخضر زرياب - "لياسمينة صالح"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص : أدب حديث ومعاصر

تحت إشراف الاستاذة:

إعداد الطالبتين:

✓ مليكة بوجفجوف

✓ أمال بوجفجوف

✓ حنان بومخيطة

| | | |
|------------|-------------|--------------------|
| جامعة جيجل | رئيسا | أ.وداد حلاوي |
| جامعة جيجل | مشرفا ومقرا | أ.مليكة بوجفجوف |
| جامعة جيجل | ممتحنا | أ.د/ زهيرة بوالفوس |

السنة الجامعية: 2021/2022م

1444/ 1443هـ

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

لله الفضل من قبل ومن بعد، الحمد لله الذي منحنا القدرة

على انجاز هذا العمل، وبعد:

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بأسمى معاني الشكر

والعرفان إلى الأستاذة الفاضلة "مليكة بوجفجوف"

التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث،

فأنارت دربنا بنصائحها القيمة، وتوجيهاتها السديدة

من أجل اتمام عملنا على أكمل وجه ممكن.

ونسأل الله أن يجزيها عنا خيرا، وأن يجعلها

ذخرا للعلم ولطلابيه.

كما نتقدم بالشكر للسادة أعضاء اللجنة الموقرة على

مجهوداتهم المبذولة.

مقدمة

إذا كان الشعر هو ديوان العرب فيما مضى، فإننا اليوم بإمكاننا القول أن الرواية أصبحت هي ديوان العصر، فقد استطاعت أن تتبوأ مكانة هامة، وأن تسجل حضوراً قويا على الخارطة الأدبية العربية و الغربية ابداعا و نقدا ، من جهة أخرى تميزت الرواية بمرونة كبيرة جعلتها قابلة للتجديد والتغيير، والانفتاح على العديد من الأجناس الأدبية و الفنون الإنسانية ، إضافة إلى قدرتها على استيعاب الواقع ومواكبة مجرياته والإمام بمستجدات العصر؛ فهي أنسب الفنون تعبيرا عن الحياة والواقع وهموم الإنسان وطموحاته، إذ يرى البعض أنها جزءاً مقتطعاً من الواقع، وفكراً معبراً عن العديد من القضايا المهمة في الوجود الإنساني، وربما هذا ما جعلها تتصدر قائمة الفنون الثرية الأخرى.

هذا وتعد الرواية من الأشكال السردية التي لم تنشأ من فراغ، بل مرت بالعديد من المراحل التي أدت إلى نضوجها الفني والشكلي ؛ إذ تتكون من مجموعة من التقنيات السردية التي تعد بمثابة عمودها الفقري الذي ترتكز عليه و هيكلها الذي تبنى عليه، وإذا كان الروائي يهتم بالمضمون وحده و يربطه بقضايا الواقع و أزماته، فإن الناقد والدارس يعالج القضايا السردية في المتن الروائي، كالزمان والمكان والشخصيات والراوي...الخ.

غير أن المتتبع للرواية العربية والجزائرية على وجه الخصوص، يلاحظ نوعاً من العزوف في مجمل الدراسات والأبحاث في الاشتغال على بعض المكونات الفنية للخطاب الروائي، وفي مقدمتها "المكان" الذي لم ينل من الخطوة في الدراسات ما يكفي، إذا ما قورن مع باقي المكونات كالشخصية والزمان، بالرغم من الدور الذي يلعبه في إرساء دعائم الرواية والحفاظ على تماسك عناصرها، حيث أن البناء الروائي لا يستقيم إلا من خلاله كونه المتحكم في حركية الشخصيات والأحداث، فما من حركة إلا وهي مقترنة و ما من فعل إلا وهو مستوحى لبعض دوافعه؛ إذ أنه المؤثر على سيرورة الحكوي ونقطة التقاء عناصر البنية ومجال تجليها وتفاعلها.

وعلى الرغم من هذا ، فقد شغل فضاء المدينة حضوراً لافتاً في الرواية الجزائرية المعاصرة (على غرار العربية والعالمية)، هذا الحضور لم يقتصر فقط على كونه مرتبباً ببنية الرواية و كإطار مكاني تدور فيه أحداثها ، و إنما يسهم في تشكيل أبعادها الدلالية المختلفة ، وهو ما دفعنا إلى تتبع هذا الحضور و تجلياته في المتن الروائي الجزائري ، من خلال رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً" ، فكان موضوع هذا البحث موسوم بـ:"صورة المدينة في رواية في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً" ل"ياسمينه صالح" . أما عن سبب اختيارنا لهذه المدونة دون

مقدمة

غيرها من الروايات الجزائرية ، فيعود أولا إلى عنوانها "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا" ، ثم إلى سياق إنتاجها المرتبط بما عاشته الجزائر في العشرية السوداء و ما صاحبها من تغيرات مست جميع الأصعدة .

و لعل اقتربنا من هذه المدونة الروائية كان محاولة منا للإجابة عن الإشكالية التالية:

- كيف تعاملت "ياسمينه صالح" مع "فضاء المدينة" في روايتها "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"؟ وما هي أبرز تجلياته وتمظهراته داخل المتن المحدد للدراسة؟

- كيف تشكل فضاء المدينة "سرديا" و "دلاليا" داخل الرواية؟ وكيف تفاعل مع مكونات السرد الأخرى (الشخصية والزمن السردية) ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية فقد ارتأينا تقسيم بحثنا هذا وفق خطة ممنهجة تتضمن مقدمة، مدخل؛ تحدثنا فيه عن تحولات مفهوم الصورة من الشعر إلى الرواية و من البلاغة إلى الصورولوجيا، وفصلين؛ فصل نظري وفصل تطبيقي.

جاء الفصل الأول بعنوان : "المدينة مفاهيم وتجليات"، وقد احتوى على خمسة مباحث؛ حيث تناولنا في المبحث الأول تعريف المدينة لغة واصطلاحا، أما المبحث الثاني فتطرقتنا فيه إلى المدينة في الدراسات السوسولوجية والفلسفية والتاريخية، وكذلك الأدبية، وفي المبحث الثالث الموسوم "بالمدينة وفضاء المغايرة"، تناولنا فيه علاقة المدينة بالإنسان من جهة، وبالريف من جهة أخرى، في حين المبحث الرابع تم فيه التطرق إلى المدينة في الرواية الغربية والعربية، وهذا تحت عنوان : "المدينة في الخطاب الروائي"، أما فيما يخص المبحث الخامس فكان بعنوان "المدينة فضاءا روائيا"، وقد تضمن علاقة الفضاء المدني بالشخصية والزمن والحدث.

أما الفصل الثاني والذي كان فصلا تطبيقيا موسوما بعنوان : صورة المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"، تناولنا فيه مبحثين؛ الأول بعنوان: تمثيلات صورة المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"، أما المبحث الثاني فقد كان تحت عنوان : التشكيل السردية لصورة المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا".

وذيّلنا بحثنا هذا بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لمجموع النتائج المتوصل إليها في دراستنا هذه.

مقدمة

اضافة إلى ملحق تضمن نبذة عن حياة الروائية "ياسمينه صالح"، وملخص للمتن الروائي المشتغل عليه، وقائمة المصادر والمراجع.

أما بالنسبة للمنهج المعتمد في هذه الدراسة فقد جمعنا بين التحليل الصورولوجي من خلال تتبع صور وتمثيلات المدينة في الرواية المدروسة ، والتحليل السردى البنيوي ، من خلال النظر في العلاقات التي يقيمها الفضاء المديني مع عناصر السرد الأخرى داخل المتن المدروس لأجل كشف تجليات الصورة الروائية و السردية للمدينة وانعكاساتها على بنية السرد و دلالاتها العامة .

كما اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

- قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي.
- حسين حمودة: الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينات في مصر).
- حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمان، الشخصية).
- رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة .

مقدمة

ولعل من الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث قلة الدراسات التي تناولت المدينة كفضاء في الرواية، باعتبار جل الدراسات كانت منصبة حول المدينة في الشعر، وهذا ما حملنا مشقة البحث والتنقيب، إضافة إلى صعوبة تحديد المنهج المناسب للدراسة، كونه لا توجد نظرية تضبط المدينة كمكون للفضاء الروائي، هذا وقد واجهتنا صعوبة أخرى وهي عدم تحصلنا الرواية المراد دراستها في طبعها الثانية والتي كانت بعنوان "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"، وتحقيقا للأمانة العلمية لا بد من الإشارة إلى أننا طبقنا دراستنا على الطبعة الأولى المعنونة بـ "الخضر"، علما أن كلا الطبعتين متشابهتين في المتن، و الإختلاف مس فقط عنوان الرواية وغلّاها.*.

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذة "مليكة بوجفجوف" التي لم تبخل علينا بالتوجيهات العلمية التي

خدمت بحثنا هذا .

*. للثبوت يمكن الرجوع إلى : أسعد العزوني ، في رواية " في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا " للأدبية ياسمينية صالح "، توصيف دقيق للأحداث الإرهابية التي عصفت مؤقتا بالبلاد ، حيث قدم الكاتب في هذه القراءة ملخصا لأحداث الرواية يثبت و يؤكد التطابق الموجود بين النصين ، القراءة متاحة على موقع "المجلة الثقافية الجزائرية" ، نشر بتاريخ : 4.10.2017

مدخل

لقد شاع استعمال مصطلح الصورة في الدراسات النقدية العربية والغربية على حد سواء من القدم إلى الحديث، وهذا راجع لأهمية الصورة ودورها في حياة المجتمعات الإنسانية، وفي الأدب على وجه الخصوص، حيث يقول "غاستون باشلار" "Gaston Bachelard" إن الإنسان مرتبط بالصورة ويعيش بها، كما أن المتتبع لتاريخ الفكر الصوري، يلاحظ أنه أقدم تاريخ للوعي، لانطواء الصورة على أسرار كثيرة طمست على مر الزمن بفعل العديد من التراكمات والترسبات الفكرية شديدة التعقيد.¹

ولهذا فقد حازت الصورة على اهتمام الفلاسفة والنقاد والباحثين، وراحوا ينشغلون بقضاياها وموضوعاتها و أنماطها، مما تولد عن هذا رصيد معرفي ومفاهيمي كبير ومتنوع عن الصورة، في كلا المنجزين العربي والغربي. وعلى الرغم من ذلك لم يُسْتَطَع الوصول إلى مفهوم محدد لها ومتفق عليه، كون مجال استعمالها واسع ومبهم، كما أنها تحمل دلالات مختلفة ومتشابهة تتداخل مع مفاهيم أخرى، مما تؤدي إلى طبعها بطابع الغموض التعدد الدلالي وحتى المفاهيمي، هذا ما يخلق صعوبة في تحري العلاقة الوثيقة بين هذه المفاهيم والصور الأدبية، ومن هذه المفاهيم والمصطلحات التي تتداخل مع "الصورة" نجد: الانعكاس، التمثيل، التعبير، التشخيص، الرمز... إلخ، إذ أن كل هذه المفاهيم هي عبارة عن ظلال لمقولة الصورة.

ومع هذا فإن معناها العام في المعاجم اللغوية العربية جاء بمعنى التمثل والصفة والهيئة؛ أي هيئة و صفة الشيء، فمثلا عند "ابن منظور" في لسان العرب جاءت على أنها: «تَصَوَّرْتُ الشيءَ، توهمتُ صورته فتصور لي، والتصاویر التماثل.

1. ينظر: محمد المسعودي: الصورة في الرواية المفهوم والأنماط والوظائف (قراءة في كتاب: وظيفة الصورة في الرواية: النظرية والممارسة لعبد اللطيف الذكري)، مؤمن بلا حدود مؤسسة دراسات وأبحاث.

ويقال صُورُهُ الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصَوَّرَهُ الأمر كذا و كذا أي صِفته»¹.

أما الصورة في معجم " اللغة العربية المعاصرة "، فهي ما يرسم في المخيلة ولا يكون له علاقة بالواقع، حيث يعرفها بأنها: « كل حيلة لغوية يراد بها المعنى البعيد للألفاظ، أو يغير فيها الترتيب العادي لكلمات الجملة، أو لحروف الكلمة أو يحل فيها معنى مجازي محل معنى حقيقي، أو يُثار فيها خيال السامع بالتكنية عن معاني يستلزمها المعنى المألوف للفظ »².

وفي المعاجم المتخصصة في الأدب والنقد، نلمح حضور قوي لهذا المصطلح، ولكن بتحديدات مختلفة من معجم إلى آخر، ففي معجم "المفصل في الأدب" هي: «التشبيه المثل، وهي تقابل المادة، لأن الصورة إما تجسيد مادي كالصورة التي ينحتها المثل أو يرسمها الرسام، وإما تخيل نفسي يتخيله الأديب في كتاباته، وهي في كليهما تعكس الملامح الأصلية كلاً أو بعضاً»³. وهذا خلافاً لما جاء به معجم اللغة العربية المعاصرة.

هذا وقد عرفها "سعيد علواش" هو الآخر في معجمه "معجم المصطلحات العربية المعاصرة" بأنها: «تمثيل بصري لموضوع ما، وتعتبر المعارضة بين الصورة و المفهوم عند باشلار أساسية، لأنها تسمح بفهم الانعكاس على وجهين، فالصورة إنتاج للخيال المحض، وهي بذلك تبعد اللغة، وتعارض المجاز الذي لا يخرج اللغة عن دورها

1. ابن منظور: لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ج م ع-مج 4، باب الصد، ج 28، 1919م، ص 2523

2. أحمد مختار عمر و آخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب القاهرة، مج 1، ط1، 2008، ص 1334.

3. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ط1، 1999، ص 591.

الاستعمالي، ويعد المجاز المصطنع إراديا "صورة خاطئة" تلحق بالمفهوم، أما الصورة الحقيقية فهي الأصلية والمنتجة ولا تعتبر تمثيلية بشكل من الأشكال»¹.

ويبدو من خلال النص السابق أن الصورة المتحدث عنها هي الصورة الشعرية والأدبية، وهي تعتمد على الخيال والشعور والإحساس، فهي "ملكة" إبداعية بواسطتها يستطيع المبدع تأليف الصور اعتمادا على ما يختزنه داخل ذهنه من إحساسات متعددة الروافد، أو من خلال قدرته على التوفيق بين العناصر ليكشف عن علاقات جديدة مبتكرة، ومن هنا كان درس الخيال هو المدخل المنطقي بدراسة الصورة، وعنصرا أساسيا في التصوير، وتعتبر الصورة معرضا لإظهار قدرة الشاعر على استخدام ملكته التخيلية.²

ولهذا فقد ربطها القدامى بالبلاغة والبيان، من تشبيه ومجاز واستعارة، كما يتضح من قول "الجاحظ": «الشُّعْر صناعة وضرب من الصيغ وجنس من التصوير»³. إذ أن الجاحظ كان من الأوائل الذين تطرقوا للجانب التصويري للغة، وجعل الشعر مقرونا بالتصوير (الصورة). وقد يعود ذلك إلى ارتباطها بالشعر ومكانته عندهم واهتمامهم الكبير به، حيث أنه كان يعد قديما ديوان العرب، ومكانته لم تتزحزح حتى مع ظهور أجناس أدبية أخرى، ولهذا أطلق عليها مصطلح الصورة الشعرية لارتباطها بالإبداع الشعري.

هذا فيما يخص النقاد واللغويين العرب، أما في المعاجم الغربية فيقصد بالصورة على العموم كل تفكير يقدم للذهن رسماً بطريقة ما.⁴

1. سعيد علوش: معجم المصطلحات العربية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 1، 1985، ص 591.

2. ينظر: بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، ص 3.

3. أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، ط 2، 1965، ص 132.

4. ينظر: محمد المسعودي: الصورة في الرواية المفهوم والأنماط والوظائف.

"نورمان فريدمان" "Norman Friedman" مثلاً يعتبر أن الصورة هي استعارة ذهنية لإحساس أنتجه إدراك فيزيقي، ويعطي مثلاً عن ذلك باللون؛ حيث أنه إذا أدركتَ عَيْنٌ واحد منا لوناً ما فإنه يسجل صورة ذلك اللون في ذهنه، وهي صورة انعكاس للون الموضوعي نفسه، ويمكن للذهن أن ينتج صوراً عندما لا يعكس المدركات الفيزيقية المباشرة، كما يحدث عندما يحاول المرء تذكر بعض الأشياء التي أدركها ذات مرة، إلا أنها لم تعد موجودة في مجال الإدراك المباشر، وعليه فإن هناك علاقة بين الصورة والإحساس والإدراك الفيزيقي الذي اعتبره وسيلة للتمثُّل، ومن هنا تتشكل الصورة.

هذا فيما يخص المفهوم العام للصورة، أما مفهومها كصورة فنية فهو يشير إلى الصور التي تولدها اللغة، ولهذا ميز "ستيفن أولمان" "Stephen Ullmann" بين الصورة من حيث هي تعبير لغوي عن تمثّل ما، والصورة من حيث هي حضور ذهني، وهذا ما يضعنا أمام مستويين: الأول يتعلق بالبلاغة (الصورة البلاغية)، والثاني ما يتعلق بالصورة الذهنية.¹

هذا وقد حصر الدارسين الغربيين دلالات الصورة في خمسة أنماط:²

- **دلالة لغوية (المعجمية):** وهي أقدم الدلالات المستعملة تمتد إلى الإغريق، حيث كان استعمالها عاماً مطلقاً وفي ميادين مختلفة، إلى أن اقتصر في الدراسات اللغوية والبلاغية على معنى النسخة (copie) أو الصورة (Picture)، عبر التمثيل المباشر أو المحاكاة الحرفية لموضوع خارجي بصري، وهذه الدلالة تصدق على بعض الأنماط التصويرية كالرسوم الخطية والبيانية، والأشكال.
- **دلالة ذهنية:** وميادها الفلسفة؛ إذ أن الصورة وحدة بناء الذهن الإنساني ووسيلة لمعرفة الأشياء.

1. ينظر: محمد المسعودي: الصورة في الرواية المفهوم والأنماط والوظائف.

2. ينظر: عبد الحميد قاوي: مفهوم الصورة الفنية في النقد الأدبي الحديث، مجلة الباحث، جامعة الأغواط، الجزائر، مج 07، ع2، ص 31-33.

● **الدلالة النفسية:** وتقترب من الدلالة الذهنية، غير أن مجال استعمالها علم النفس، وهي انطباع أو استرجاع أو تذكر لخبرة حسية أو إدراكية ليست بالضرورة بصرية.

● **الدلالة الرمزية:** ومجال استعمالها هو الدراسات الأنثروبولوجية، فالصورة في مجال الشعر، القصيدة كونها رمزا حسياً حاملة لأشياء جوهرية في حياة مبدعها، وتعكس شخصية وطبيعة تفكيره، كما تُبنى بلاغياً بناءً يرمز لعالم واحد ويمتزج فيه الواقع وغير الواقع على نحو متكامل لا يشير إلى غيره، فهو يجد ذاته إشارة.

● **الدلالة البلاغية:** وهي حديثة النشأة تضم كل الأساليب المجازية السابقة.

ولقد اختصر "نورمان فريدمان" تلك الدلالات الخمسة في ثلاثة وهي: الصورة الذهنية، الصورة بوصفها مجازاً، الصورة بوصفها أمطاً تجسد رؤية رمزية أو حقيقية حدسية.¹

غير أن الصورة لم تعد خاصة بالشعر فقط بل اتسعت مجالات استعمالها واتسع مفهومها، فأصبحت حاضرة في جميع أمط التعبير الأدبي ومن بينها الرواية، ولم تعد حكراً على الشعر فقط، ومن هنا كان الاهتمام باللغة الفنية ضرورة لقراءة الصورة في الرواية حيث أن "باختين" Bakhtine اعتبر الرواية شأنها شأن الشعر، فهي شكل من أشكال اللغة، لكن لغتها أغنى بأبعادها ومقاصدها من اللغة الشعرية، كما أن حضور الصورة كمكون أسلوبي في كلا الجنسين ينطوي على كثير من الأبعاد والدلالات.²

إن محاولة البحث عن الصورة في الرواية وقراءتها تستدعي تتبع سياقها ومقامها الواردة فيه، كما أنها تخضع لكل متطلبات الجنس الروائي، ولهذا وجب مراعاة هذه الأمور حتى يستطيع الناقد أو الدارس كشف الصورة

1. ينظر: عبد الحميد فاوي: مفهوم الصورة الفنية في النقد الأدبي الحديث، مجلة الباحث، ص 33.

2. ينظر: محمد المسعودي: الصورة في الرواية المفهوم، الأنماط والوظائف.

الروائية وإبراز فنيتها، والوظيفة التي تؤديها في الرواية.¹ فالمتتبع للمنجز الروائي يلاحظ أن الصورة حاضرة بقوة من خلال التمثيل، حيث «إن الإبداع الروائي يمتزج بتجذير دافع المحاكاة، وهذا الدافع يحتضن مبدأ التمثيل، وما دامت أنساق العلامات تتكون في سياق الواقعي، وما دام اشتغالها واستمرارها ينجليان بوضوح تام فوق أرضية الواقعي، الذي يحيل بدوره من حيث هو جزء من المضمون، على الفرد أو على الطبقات والفئات الاجتماعية».²

هذا ويعد "جيرار جنيت" "Gérard Genette" من بين من تناول مفهوم الخطاب والصورة الروائية في مؤلفته "صورة 3" (Figures 3) حيث تحدث عن الصورة البلاغية للحكي، وليس الصورة البلاغية للاستعارة، إذ اندرج عمله ضمن بلاغة جديدة لفهم الخطاب السردي وقد سار على نهجه "هنري متران (دي مونترلان)" "Henry Montherlant"، وقبلهما "بيرسي لوبوك" Percy Lubbock و "ستيفن أولمان" اللذان اشتغلا على الصورة من طرف الروائي والسمات التي تكونها، فقد أشار "محمد السويرتي" إليها في قول: «إذا انتاب الذات خوف أو فرح أو قلق، أو حزن أو أمل، فإن موضوع هذه الإحساسات يتخذ صوراً، وملابس و روائح وأذواق لم تتعود عليها».³ وبالتالي فالصورة الروائية ناتجة عن الأحاسيس.

1. ينظر: محمد المسعودي: الصورة في الرواية المفهوم، الأنماط والوظائف.

2. المرجع نفسه.

3. المرجع نفسه.

أما عناصرها المكونة فقد انطلق "عبد اللطيف الزكري" من تصور فيليب هامون "Philippe Hamon" الذي يبين فيه، أن كل ما يتعلق بالتحليل التي يستخدمها الكاتب أو الروائي الذي ينوب عنه لعرض الشخصيات و ترتيب الزمن و تحديد زاوية النظر إلى كل شخصية، والقطع الزمني، و توزيع الأدوار، و سكونية أو تغيير الصفات و الأسماء والطباع السيكولوجية لدى الشخصيات... كل هذه الوسائل يعتبرها "هامون" صوراً أساسية لتنويع الكتابة الروائية تأخذ دلالاتها من علاقاتها مع مكونات الرواية.

في حين أن أنماط الصورة الروائية تكون داخل البناء الروائي، وهي حسب "عبد اللطيف" صورة بلاغية، صورة رمزية، وصور أخرى، هذه الأخيرة تختلف من نص روائي لآخر؛ حيث أن كل نص روائي مدروس ينطوي على أنماط صور متعددة كالصورة النفسية أو السيكولوجية أو التعبيرية، الصور السريالية، وغير ذلك من الصور ذات الوظائف الهامة في الرواية فهي ما شأها تسليط الضوء على مكونات الرواية كالشخصية والزمان والمكان... إلخ.¹

1. ينظر: محمد المسعودي: الصورة في الرواية المفهوم، الأنماط والوظائف.

وبالتالي: «فالرواية الشكل الأدبي الجامع للكثير من التأثيرات نتيجة لحجمها أولاً، ولتمتعها بإمكانات كثيرة كالسرد والوصف والتحليل، مما يمكنها من عرض أوضاع الصور عن الآخر»¹ فالصورة الروائية من حيث تمتعها بإمكانات كثيرة من سرد ووصف وتحليل تتفرع داخل المتن الروائي، والمنجز النقدي الذي تتعاطى معه إلى أنواع عديدة فنجد مثلاً: الصورة الوصفية، والصورة السردية، والصورة السينمائية*² ومن جهة أخرى يتم الحديث مثلاً عن صورة المرأة في رواية معينة، أو صورة المثقف، أو صورة المكان الروائي... ويتم الحديث أيضاً عن صورة الآخر و تمثلاته في متن روائي معين، و ضمن ثقافة مغايرة. وهو ما جعل النقاد والدارسين يستحدثون فرعاً علمياً جديداً، يبحث في الصورة الروائية و في ارتباطها بالآخر، و أطلق عليه مصطلح "الصورولوجيا" أو "علم الصورة"، أو "الصورائية"، أو "الصورائية" كل هذه المصطلحات تدل على معنى واحد.

هذا المصطلح يعود أصله إلى اللفظة اللاتينية Image والتي تعني الصورة، أو انعكاس النمط، وهذا المصطلح أو العلم، يعد أحد فروع الأدب المقارن؛ إذ يعني بدراسة صورة الآخر. وفي هذا لا بد من الإشارة إلى الفرق بين كل من مصطلح الصورة الذي تناولناه، و الصورولوجيا، إذ أن الصورة تنبع من كونها مجموعة متكاملة من المعتقدات، والفرضيات الإيديولوجية، والمواقف العقلية، والأفكار الذهنية المسبقة، والافتراضات و الأوهام التي تنتمي إلى مجموعة من الأفراد أو حتى المجتمعات المحلية والمؤسسات، أو إلى أنواع أخرى من الظواهر.³

1. عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986، ص 69.

*2. للتوسع ينظر مثلاً: آمنة يوسف، تهجين الاتجاه في سرد ما بعد الحداثة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، ص 30-35

3. ينظر: أسماء يوسف ديان صالح: الصورولوجيا في الرواية، دراسة مقارنة بين روايات عربية و أمريكية مختارة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، 2014، ص 2.

في حين أن "الصورولوجيا" هي علم متعدد التخصصات، يدرس الصورة وطريقة بلورتها من قبل الشعوب نفسها "صورة الذات"، أو الشعوب الأخرى "الصورة المغايرة"¹. وبالتالي هي علم دراسة صور الشعوب في آداب الأمم الأخرى، ولهذا عرف "رولان بارت" "Roland Barthes" الصورة هي «ما أعتقد أن الآخر يفكر فيه»².

وهذا بالنسبة للصورة Image أما علم الصورة أو الصورائية (Imagologie) هو «البحث عن صورة الآخر الأجنبي في النص الأدبي، يتيح هذا العلم معرفة الإنسان للإنسان، وعبر هذه المعرفة يبرز الجوهر المشترك للإنسانية، وعند ذلك تنطلق إلى عالم الإخوة التي تجمع الأنا بالآخر، ولو تأملنا هذا الجوهر لوجدناه لا يتبلور إلا بالتفاعل مع الآخرين من هنا تبرز أهمية الدراسات الأدبية المقارنة التي تقوم علاقاتنا مع الآخر»³.

1. ينظر: المرجع السابق.

2. رولان بارت، هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، الأعمال الكاملة 5، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط1، 1999، ص 486.

3. خليل برويني و آخرون، صورة مايا كوفسكي في شعر الوهاب البياتي و شيركويكه ، دراسة صورولوجية في الأدب المقارن، اضاءات نقدية (فصيلة محكمة)، إيران، ع 8، 2012، ص 1.

هذا وقد تعددت تسميات المصطلح كما ذكرنا، وهذا راجع لاختلاف في الترجمات وتعدددها، ولكن مجال بحث "الصورائية" "Imagologie" هو نمط "الصورة السردية" أو كما يعرف أيضا "بالصورة الروائية" أو بلاغة الصورة السردية، أو البلاغة النوعية، لأنها مرتبطة بالجنس والنوع الأدبي، وبالتالي فإن ما يمكن ملاحظته هو أن "الصورائية" أو "علم الصورة"، أو "الصورولوجيا" كما يخلو تسميتها، ما هي إلا تطور لمفهوم الصورة، حيث أن مجال البحث في الصورة الأدبية قد انزاح من الصورة البلاغية أو نقول البحث البلاغي (الصورة الشعرية) إلى البحث الصورولوجي أو الصورائية، التي تعد فرع من فروع الأدب المقارن. لكن لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة ولعلها محور دراستنا، إذ أن الصورولوجيا ليست بالضرورة تدرس الصورة التي تصنعها الشعوب عن شعوب أخرى، بل عي كذلك تدرس الصورة التي تنشئها الشعوب نفسها.

حيث يقول "روث أموسي" "Ruth Amossy" «أن الصورولوجيا أو تحليل مضمون التمثيلات هي التي ينشئها شعب عن شعب آخر (صورة غيرية) أو عن نفسه (صورة ذاتية)»¹.

وبالتالي فإن تطرقنا لموضوع الصورة في هذا البحث ينأى عن التخصيص المعنى في علم الصورولوجيا، الذي يختص برصد صورة الآخر في الرواية، بل نعني به المعنى العام للتمثيل الذي يعني «بمجموعة من العمليات التي من خلالها ترمز الممارسات الدالة، أو تصف موضوعاً أو ممارسة في العالم الحقيقي، ومن ثم فالتمثيل فعل ترميزي يعكس الواقع، إلا أنه بالنسبة للدراسات الثقافية لا يعد مجرد انعكاس في شكل رمزي للأشياء الواقعية، بل

1. عبد الرحمان بوعلي: الصورولوجيا وإشكالية التمثيلات الأدبية، مجلة دراسات و أبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مج 12، ع 12، 2020، ص 80.

التمثيلات مؤسسة لمعنى ما تدعي أنه بديل، بمعنى التمثيلات لا تنطوي على مطابقة بين العلامات والأشياء، بل تنشئ أثرا تمثيلا للواقع»¹.

والصورة التي يعالجها هذا البحث تندرج ضمن هذا المعنى، إذ أننا نعتزم النظر في مختلف تمثيلات الفضاء الروائي في المتن المحدد للدراسة، وكذا انعكاساته على مختلف عناصر ومكونات السرد الأخرى، وخصصناه بالفضاء المديني (صورة المدينة في الرواية).

1. كريس باركر: معجم السرديات الثقافية، ثر: جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018، ص 131.

الفصل الأول

المدينة مفاهيم وتجليات

أولاً: تعريف المدينة.

ثانياً: المدينة في الدراسات السوسولوجية والفلسفية والتاريخية والأدبية.

ثالثاً: المدينة وفضاء المغامرة.

رابعاً: المدينة في الخطاب الروائي.

خامساً: المدينة فضاءً روائياً

أولاً: تعريف المدينة:

من الخطوات المنهجية الأساسية للبحث في موضوع من المواضيع، التطرق إلى الأطروحات النظرية والمفاهيم والرؤى النقدية، وكذلك البحث في أصول المصطلحات وضبط مفاهيمها، والتي بموجبها نقوم بتحديد المسار الإجرائي لنموذج الدراسة التطبيقية، خاصة عندما يتعلق الأمر بتلك الموضوعات التي تبدو من البداية متعددة المدخل، والتمظهرات، وهو ما ينطبق عاماً على موضوع "المدينة"؛ فالمدينة واقع عمراني مادي، وتجلي ثقافي حضاري؛ هي حياة اجتماعية لها امتداداتها الفكرية، وتأثيراتها وانعكاساتها الأدبية.

وعليه كانت المدينة من بين المواضيع التي أسالت الكثير من الحبر حولها، وأثارت جدلاً واختلافاً كبيراً وسط النقاد والدراسين منذ القدم وصولاً إلى العصر الحديث، مع ظهور جنس الرواية، وعليه نطرح التساؤل: ما هي المدينة؟

إن المدينة ظاهرة حضارية ارتبطت بالإنسان الحضاري، الذي انتقل من الحياة البسيطة ذات الطابع البدوي، إلى حياة أكثر تمدن وتطور؛ فالمدينة مرآة عاكسة لحياة الإنسان، تُصور سلوكياته وعاداته وعلاقاته المختلفة. وقد حاولنا في هذا البحث رصد بعض معانيها ودلالاتها المتنوعة لغياً واصطلاحاً، كونها عنصراً فنياً يُجسد المكان داخل البناء الروائي.

1- لغة:

وردت المدينة في معجم "لسان العرب لابن منظور" في مادة (م.د.ن) في قوله «مَدَنَ بالمكان: أقام به، ومنه المدينة وهي فعلية [...] والجمع مدائن ومُدُنٌ ويقال للأمة مدينة أي مملوكة»¹، فهي تعني النزول بمكان والإقامة فيه.

أما في "محيط المحيط لبطرس البستاني": «المدينة المصدر الجامع وقيل الحصن يدني في أصطمة الأرض، والمدينة أيضاً الأمة، ومدن المدن تمدينا، مَصَّرَهَا وبنائها، وتمدن الرجل تخلق بأخلاق أهل المدينة وانتقل من حالة

¹ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1990، مادة (م،د،ن)، مج 13، ص 402.

الخشونة والبربرية والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة»¹. وهذا المعنى يصب في مجال البناء والتعمير في الأرض، أي التمدن؛ الذي هو ظاهرة اجتماعية يختص بها الإنسان، إذ ينتقل من طور البداوة إلى طور التحضر والرقى.

ولعل أغلب المعاجم العربية تشترك في هذا المعنى، ففي معجم الوسيط جاء جمعها مدائن ومدن، وفلان مدن أي أتى المدينة، وهي كلمة سامية الأصل. وتطلق المدينة على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وغلبت عليها،² ويقصد بها مدينة يثرب، وهو الاسم الذي كانت تسمى به قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

والمدينة أيضا: «يمكن أن تكون اشتقت من دين أي ملك، بوصف المدينة تشترط وجود الملك والسلطان أو الوالي على عكس القرية»³.

وهذا يعني أن للمدينة حاكم يرعى شؤونها خلاف القرية، هذا التجمع السكاني الصغير الذي لا يرقى لمستوى المدينة.

2- اصطلاحا:

تعد المدينة مكان مركب من أمكنة متعددة، و فضاءات واسعة، وعلاقات متفرعة ومتشابكة، إضافة لكونها ذات أبعاد اجتماعية وثقافية عاكسة لخصوصية وقيم المجتمع المنتمي إليها، كما أنها مركز للخلق والإبداع الثقافي والأدبي.

لقد تعددت تعريفات المدينة وتنوعت، ولعلها في أبسط تعريفاتها هي مقر مجموعة بشرية ما، ترتبط بين عناصرها علاقات شتى منها العائلية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، ويعيشون في إقليم جغرافي يتميز بطغيان الجانب المادي من سكنات و بنى تحتية ومرافق

1. البستاني بطرس: محيط المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان مج 8 دط، دت، ص 26.

2. ينظر: معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مج1، ص 859.

3. عبد القادر بوعرفة: المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروي في السياسة لابن رشيد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2013، ص 63.

وعليه فإنها تجمع سكاني في حيز جغرافي محدد، يشترك سكانها في مجموعة من الخصائص و تقوم فيما بينهم مختلف العلاقات والتفاعلات، حيث أنها «وسط حيوي مهم وحقيقة موعلة في القدم، و معاصرة لبدأ الحضارة، وهي من الناحية الاجتماعية نسيج من العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإدارية المتشابكة مع بعضها البعض».¹ فتشكل مجتمعا يتأثر أفرادها بعضهم ببعض و يؤثرون ضمن إطار قانوني ينظم هذه العلاقات، «فالمدينة لا يتم أمرها إلا بأن يكون فيها رؤساء ومرؤوسون، فالرؤساء مثل الأفاضل وذو التجارب، والمرؤوسون كل من هؤلاء الصبيان والشبان والجهال».² وهذا يعني أن تعريف المدينة مرتبط بالحكم والمحكوم (الشعب، المجتمع).

ولما كانت المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي و مأواه، والمكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته، أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، ولتناسب أذواقهم ومشاربهم، فشكلوها على مقاسهم وعبؤوها بما يستجيب لحاجيات أجسادهم وأنفسهم، من مرافق ضرورية لضمان سيرورة حياتهم وإقامة مراسيم طقوسهم وحفلاتهم، وكذا مرافق ملهاتية يُنفسون فيها عن مكبوتاتهم.³

ولما كانت المدينة ضاربة في العمق التاريخي ومعاصرة لبدأ الحضارة فهي «مهد الحضارة ورمز تقدم الأمة واستقرارها، والبيئة التي تنمو فيها الثقافات وتزدهر في حداثتها العلوم والفنون وهي صورة الأمة، ونقرأ فيها أحلاق أهلها و مثلها و قيمتها، وعلى هذا فحضارات الدول هي حضارات مدن الغالب، والتاريخ منذ القدم مازال يكتب في المدن».⁴

1. طارق ثابت: الشخصية المدنية في شعر الطيب معاشي (مقاربات سيميائية)، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 16.

2. عبد القادر بوعرفة: المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشيد)، ص 69.

3. ينظر: قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 22.

4. زهير محمود عبيدات: صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، دار الكندي، اربد، الأردن، 2007، ص 13.

غير أنه قديماً كانت المدن عند العرب تتشكل و تتحدد وفق الوظيفة التي تميزها، مثل مختلف الصناعات والتجارة و السلطة وغيرها، إذ « يبدأ ميلاد المدينة في التشكل عندما يختص أهل الجماعة الواحدة في امتهان حرف يرتبط وجود كل واحدة منها بالأخرى، كما يرتبط الأعضاء في الجسم الواحد».¹

ومنه فإن مفهوم المدينة في القديم كان مرتبطاً بظهور الحرف الصناعات التي من شأنها التمييز بين المدينة والريف أو القرية، وعليه فإن كل مدينة لها خصائص مختلفة تميزها عن سواها إذ « تتميز المدن عن بعضها نتيجة العوامل والأسباب التي أدت إلى نشوئها وتكوينها وتطورها، فهناك مدن تجارية ومدن دينية ومدن صناعية ومدن تاريخية، كما هناك مدن تستمد أهميتها من كونها مصدر قرارات والاختبارات السياسية».²

فالمدينة إذن هي حيز مكاني، لها شخصيتها ودلالة تميزها لتمييز عادات وسلوكيات قاطنيها واحتياجاتهم، إضافة إلى أن الإنسان يأخذ من المكان الذي يقطن فيه و يتأثر به كما يؤثر به أيضاً، فهذه العلاقة المتبادلة بينهما تؤدي إلى حدوث تشابه، إذ أن المدينة تملك «هوية تحدد بها هوية من يسكنها فقد تقتحم العديد من الصور بمجرد أن نذكر أسماء مدن سواء أكانت قديمة أو معاصرة»³ فنقول أن المجتمعات هي صور للمدن.

كما « تظهر المدينة على أنها تمثيل متداخل ذاتياً وكل تمثيل هو تأويل لتنظيم هذا الفضاء المتأسس على ثلاثة عناصر هي: هوية المكان، بنية عناصره، وكذا دلالاته الوظيفية والرمزية والعلاقات التي يقيمها الفرد داخل الفضاء».⁴

1. عبد القادر بوعرفة: المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشيد)، ص 70.

2. رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، 1984، ص 17.

3. داود محمد: المدينة في الرواية الجزائرية الفضاء القسنطيني في رواية "الزلزال"، مجلة إنسانيات، ع 13، أفريل 2001، ص 29.

4. المرجع نفسه.

إن المدينة ليست ذلك التراكم من الجمادات بل هي جسد وروح، وهي عالم الإنسان قبل أن يقذف به في العالم، وليست رقعة جغرافية لها حدود فحسب، بل تخضع إلى تغيرات تتحكم في المكان، كونه المدينة مظهراً من مظاهر الإبداع الإنساني.¹ تتبلور في شكل تحليلات متعددة منها اللغة والأسطورة والتراث والفن والأدب.

ثانياً: المدينة في الدراسات السوسولوجية والفلسفية والتاريخية والأدبية:

1- المدينة في الدراسات السوسولوجية:

تعتبر المدينة إحدى ظواهر الحضارة الإنسانية، وإحدى مكونات البيئة التي يعيش فيها الإنسان، ويمارس فيها جل أنشطته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى كونها ذات علاقة تفاعلية معه؛ إذ تؤثر فيه وتتأثر به وتشبع حاجياته النفسية والاقتصادية والاجتماعية عن طريق تكامل وتفاعل مختلف الأنشطة فيما بينها، وهذه إحدى الأهداف الأساسية التي تسعى إليها المدينة وأنشأت من أجلها، كما أن كل مدينة لها خصائصها وميزاتها نظراً لاختلاف مكوناتها ووظائفها عن باقي المدن الأخرى، هذا ما يشكل شخصيتها و بصمتها ذات العمق التاريخي والمسار التطوري في المجال الاقتصادي والعمري والاجتماعي.

إنّ محاولة إعطاء تصور واضح ومحدد حول المدينة فيه شيء من الصعوبة، ذلك راجع إلى اختلاف اتجاهات الباحثين والمفكرين وكثرة المداخل النظرية والتخصصات التي اشتغلت عليها، وحاولت تفسيرها، إضافة إلى كونها ظاهرة اجتماعية معقدة و متعددة الأطراف والجوانب.

فكما قلنا فقد تم النظر إلى المدينة من عدة زوايا وعدة تخصصات، حيث أنه من الباحثين من اعتبرها وحدة مصاحبة لتطور التاريخ الإنساني؛ إذ نضجت وتشكلت في كنفه نتيجة الصراع مع الطبيعة، أو هي نتاج العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان، في حين اعتبرها الآخر بأنها مجموعة من العلاقات الاقتصادية المتبادلة، ونوه

1. ينظر: بلكرافة عيسى: سردية العمران وبنائية المدينة في رواية الفاجعة السورية-قراءة في ثنائية خالد خليفة مديح الكراهية ولا سكاكين في مطبخ هذه

المدينة -مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المسيلة، الجزائر، ع2، 2021/09/15، مج 13، ص 155.

لها البعض بأنها مركز من مراكز الإشراف السياسي أو الحربي أو التجاري، أو أنها نوع متميز من الوجود الإنساني.¹

ومن التخصصات التي حاولت إعطاء رؤية واضحة وحقيقية لمفهوم المدينة، نجد الجانب الذي اعتمد على معايير إحصائية في تحديد مجالها ومفهومها، مثل النمو الديموغرافي والكثافة السكانية والحجم.

إذ يعرفها " لويس و ويرث " " Louis wirth" بقوله « موقع دائم يتميز بكبر الحجم و بكثافة عالية نسبيا وبدرجة ملحوظة من اللاتجانس بين سكانها »²

غير أن " ويرث " هنا ركز على الجانب الإحصائي و أهمل الجانب السوسولوجي؛ ركز على ثلاثة معايير أو نقول متغيرات وهي الحجم والكثافة واللاتجانس، وهذا غير كاف لإعطاء مفهوم دقيق للمدينة، فيقول « إن وصف مجموعة ما واعتبارها حضرية بالاعتماد على الحجم وحده ينطوي على الكثير من التعسف الواضح ».³

فمعيار العدد غير كاف في تحديد مفهوم المدينة، وهذا ما يقر به "ماكس فيبر" "Max Weber" هو الآخر إذ يقول : « إن الحجم لوحده لا يشكل المعيار الحاسم ».⁴ فالمدينة عنده هي (ذلك الشكل الاجتماعي الذي يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة و ملموسة في أساليب و طرق الحياة مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية، وهي بذلك وسيلة للتغيير الاجتماعي التاريخي).⁵

فتعريف المدينة إذن مرتبط بتنوع الأساليب الحياتية الموجودة فيها، والتي هي الأخرى ترتبط بأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، كما أن تعريف "فيبر" للمدينة اعتمد على الأشكال الاجتماعية، ودورها في خلق و تطور

1. ينظر: نورية سوامية: المدينة والحضريّة في الجزائر، مقارنة نظرية، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، ع 15، 2018، ص 99.

2. المرجع نفسه، ص 100.

3. ينظر: المرجع نفسه.

4. المرجع نفسه.

5. محمد عاطف غيث: علم الاجتماع الحضري، مدخل المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1955، ص 12.

القدرات الفردية، التي تؤدي هي كذلك إلى تطور الروابط الاجتماعية بين السكان، و تعد شرطاً هاماً لتشكيل المجتمع الحضري.

في حين أن "روبرت بارك" "Robert Park" يرى أن المدينة ليست مجرد تجمعات سكانية بل إنها اتجاه عقلي، و مجموعة من العادات والتقاليد، إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في العادات التي تنتقل عن طريق التقاليد.¹ فعلى خلاف "فيبر" و "ويرث" يرى « أن المعيار الثقافي ضروري في تحديد مفهوم المدينة، فهي ليست تجمعات من الناس وليست مجموعة من النظم، بل هي: مكان إقامة طبيعي للإنسان المتحضر، لها أنماط ثقافية خاصة بها، حيث تشكل بناءً متكاملًا يخضع لقوانين طبيعية واجتماعية على درجة عالية من التنظيم لا يمكن تجنبها.² وهذا يعني أن المدينة تقوم على مستويين مستوى البناء التحتي، والمستوى الفوقي المتمثل في النمط الثقافي المميز لها.

كما أن هناك من عرفها بأنها « تمثل قطب انجذاب لكل الفئات الاجتماعية بما فيها المستضعفة؛ باعتبارها تمثل مركز السلطة والمعرفة وفرصة للترفيه الاجتماعي بصورة عامة تمثل الرقي المدنية».³

أما عند الباحثين العرب فإن "مصطفى الخشاب" يرى أن المدينة من ناحية السوسولوجية البحتة هي عبارة عن فكرة مجردة لكل العناصر التي تتكون منها الإقامة، البناءات الداخلية ووسائل المواصلات، عبارة عن موجودات لها طابع مختلف مما يجعل المدينة شيئاً محددًا هو كذلك التكامل الوظيفي في عناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية.⁴

1. ينظر: نورية سولمية: المدينة والحضرية في الجزائر، ص 102.

2. السيد عبد العاطي سيد: علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2003، ج1، ص 313.

3. تعريف المدينة عند رواد علم الاجتماع، بوابة علم الاجتماع، 3 يوليو 2003. <https://www.b.sociologie.com>.

4. ينظر: هادي سمية: سوسولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 20 أوت 55 سكيكدة،

الجزائر، ع 17، ديسمبر 2014، ص 172.

إذن إن المدينة هي ذلك التكامل الوظيفي لعناصرها المكونة وفي هذا يقول "عبد العاطي السيد" أيضا «المدينة كنظام اجتماعي هي حالة ديناميكية وحركية مستمرة، فالعلاقات بين عناصرها ومكوناتها، وعلاقتها بالأنظمة الأشمل هي على نحو دائم عرضة للتغير»¹

وبالتالي فإن إجماع جل الباحثين والدارسين على أن المدينة هي ظاهرة اجتماعية راجع لارتباطها بالتنظيم الاجتماعي الوظيفي، ذو الأنماط المعيشية والممارسات الحياتية المختلفة التي يمارسها الأفراد داخل الحيز المكاني الذي يشغلونه.

كما أن المدينة هي امتداد للحياة الاجتماعية؛ وبالتالي لا يمكننا تجريدنا من مفهومها السوسيولوجي، ولا من عناصرها الاجتماعية، إذ أنه لا يوجد لمدينة بدون جماعات أو تنظيمات أو علاقات، وهي تشكل أنساقا اجتماعية مختلفة، التي تشكل بدورها مجموعة من العلاقات اللامتناهية.

2- المدينة في الدراسات الفلسفية:

الفلسفة بنت المدينة، وأكثر من هذا إنمها روحها وقوامها، وشرط وجودها والغاية التي تسعى إليها، فالمدينة بدون الفلسفة هي مجرد تجمع سكاني لا روح له، شأنها شأن المجتمع المدني الذي لا معنى له بدون المدينة.

وقد أصبحت المدينة من القضايا والمفاهيم التي شغلت الفكر المعاصر، حيث شهد العالم أحداثا عظيمة وتغيرات مست عالم الفكر وعالم الواقع. وأدت مع نهاية القرن 19 إلى انتهاء نظام عالمي وفكري وسياسي، وأصبح التفكير في عالم جديد ونظام آخر، مطروحا على الأقل كشعار، وعليه فإنه من غير الممكن أن تغيب الفلسفة أمام هذه التحولات الكبرى التي فرضت عليها العودة إلى الواجهة وإعادة تحديد مهمتها. حيث أن الفلسفة هي الحكمة والحكمة في أي بناء هي البدء بفحص الأسس ونقد المواد؛ أي مواد البناء الفلسفي والتي نقصد بها المفاهيم.²

1. ينظر: هادي سمية: سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، ص 172.

2. ينظر: محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 9.

وبالتالي فإن مهمة الفلسفة هي خلق المفاهيم، حيث يقول الفيلسوف الفرنسي المعاصر، "جيل دولوز" Gilles Deleuze عنها في كتابه "ما الفلسفة؟" «بأنها فن صياغة وإنشاء ووضع المفاهيم».¹

لكن هذا لا يعني أن الخلق يكون من العدم، وإنما ما يقصد به هو إعادة بعث للمفاهيم السابقة و صياغتها ونقدها و فحصها...

إنّ الفلسفة اليونانية بحثت في مواضيع الطبيعة والميتافيزيقيا، وفي المعرفة وحقيقة الوجود الإنساني، ضمن عالم المدينة القديمة، حيث أن العلاقة بين المدينة والفلسفة هي علاقة وثيقة ومترابطة، و أكثر تواسلا على الرغم من التعدد والتفاوت والاختلاف الذي نشهده من مدينة لأخرى عبر مختلف الحقب الزمنية الضاربة في العمق التاريخي، لكن ما يوحدنا أي؛ المدينة القديمة هو الانفصال العضوي بين العمل النظري (التفكير والتأمل و استخدام العقل) وبين العمل اليدوي...²

وبالحديث عن المدينة القديمة وما يميزها عن المدينة الحديثة هو تلك المقولات الفلسفية التي تملك نصيبا من الحقيقة والمعرفة بالأمور الإنسانية والطبيعية و بإشكالات الوجود بشكل عام، غير أن هذه المقولات والنظريات محكومة بأزمته لا تخرج عنها؛ بمعنى أنها لا تنطبق ولا تصلح على الأزمنة الحديثة التي تحررت منها، وشكلت مسارا واتجاها خاصا بها، موازاة مع عصر النهضة، إذ كما قلنا قد مس الفلسفة ما مس العالم من تحولات كبرى، فتأثرت بالعلم الصناعي الحديث، وما توصل إليه من مكتشفات علمية حديثة.³

ولما كانت الفلسفة مؤلدة في أحضان المدينة فإن «شرطها الأول و الأخير هو المدينة، وثانيا لأن قيام المدينة في تطورها تضعنا أمام الأزمات فلسفية القرن 19، كالديمقراطية والمواطنة وحقوق الإنسان والتسامح والأخلاق وغيرها...»⁴

1. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، ص 10.

2. ينظر: المرجع نفسه ص 11.

3. ينظر: حسن أغلان: المدينة/ الفلسفة أية علاقة، <https://www.alantologia.com>.

4. المرجع نفسه.

إذن، إن هذه القيم الإنسانية التي تناولها الفكر الفلسفي، وحاول ترسيخها عبر قرون، تصب في الأخير لغايات محددة ترمي إليها الفلسفة، مثل السعادة، فالغاية من المدينة حسب أرسطو « هو بلوغ السعادة باعتبارها أفقا للكمال»¹

كما أن التجربة الفلسفية وضعت موضوع المدينة لمساءلته كمفهوم و تخترقها كفضاء واقعي، وتتأملها كمشهد مفارق، وتُساَلها كشرط من شرائط المستقبل الإنساني»²

إنّ تطرقنا لتعريف المدينة فلسفياً، انطلاقاً من التجربة اليونانية، لأنه مؤسساً لها عبر مفكرها، "أفلاطون" "Platone" و "أرسطو" Aristote وقبلهما صولونSolon و بيريكليسPericles حيث أن أفلاطون قام بتأليف كتاب حول هذه الفكرة و أطلق عليه تسمية "الجمهورية"، وقد سعى في جمهوريته إلى طرح جملة من المبادئ والقيم والأفكار التي من شأنها التأسيس لمجتمع إنساني فاضل مستقبلاً، أو ما أطلق عليه تسمية "المدينة الفاضلة".

إذ أنها ليست واقعاً عينياً فحسب، بل تخيال يروم الفيلسوف إلى تطور مدن أخرى.³

وعليه فقد حلم أفلاطون بمدينة تضمن السعادة والراحة للناس، و راح يُعدد مبادئها، حيث جعلها «مدينة صغيرة بحيث يمكن اجتماع جميع سكانها لخطب واحد، أو يمكنهم أن يشتركوا في لعبة واحدة، ويمكنهم التعارف والمصادقة فلا يكون أحدهم غريباً عن الآخر»⁴ و لهذا جعلها لا تتجاوز خمسة آلاف شخص فقط.

كما أنه قد جعل مدينته تتكون من ثلاث طبقات من السكان، «طبقة تختص بالحكمة وتدير شؤون الجمهورية السياسية والحكومية وهذه هي طبقة الأوصياء، وطبقة تختص بالجندي لحماية المدينة، فهذه طبقة

1. حاتم النقايطي: مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 1995، ص 72.

2. ينظر: حسن أعلان: المدينة/ الفلسفة أية علاقة.

3. المرجع نفسه.

4. سلامة موسى: أحلام الفلاسفة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 14.

المقاتلة، وطبقة تختص بالزراعة والصناعة وهذه هي طبقة العمال»¹. كما أنه ألغى نظام امتلاك الأشياء الموجودة في المدينة وجعلها ملكية عامة، مستثنياً بذلك طبقة العمال.

غير أن الحديث عن الجانب الفلسفي لأي موضوع، لا يمكننا من تجوز الفكر الأرسطي بل إننا لمجبرون عليه كونه يحتل مرتبة جلييلة في الفكر الفلسفي، وعليه فإن المدينة عند أرسطو هي «نتاج للطبيعة وبالتالي يمكن دراستها بنفس المنهج الذي ندرس به كل كائن حي، أي بمنهج التحليل التجريبي»² إنه يقدم شروطاً مادية، واقعية لتشكّل المدينة، السكان، المساحة و الصفات، حيث يقول أن المدينة ليست عدداً من السكان و مساحة فحسب، بل إنها كذلك جملة من الشرائح والطبقات الاجتماعية التي تكون الحياة الاقتصادية والسياسية.

هذا ويقسم أرسطو هو الآخر المدينة إلى ثمانية طوائف هي: «الزراع، الصناع، التجار، الجنود، الطبقة الفتية، الكهنة، الحكام، الموظفين ولعل هذا ما يجعل المدينة في حد ذاتها علماً لاختلاف الأفراد عن بعضهم البعض في أنشطتهم وفي وظائفهم»³.

وبهذا التقسيم نلاحظ أن أرسطو قد تجاوز أخطاء أفلاطون في جمهوريته، حيث أنه قسم الطبقات المكونة للمدينة من ناحية الظرفية؛ أي فئة المحاربين لم يجعلها أفلاطون قسماً من أقسام الدولة إلا في حالة الحروب.

كما أن المدينة عند أرسطو «شكل طبيعي للتطور الحاصل من المرأة والرجل إلى العائلة إلى القرية وصولاً إلى المدينة»⁴. وبالتالي فهي نتائج تاريخ الاجتماع الإنساني وغاية له، ويذكرنا قول أفلاطون كذلك «هي مجتمع يضم العديد من الجماعات الصغيرة والثانوية، لكن الأهم من بين كل تلك الجماعات قاطبة هي الأسرة»⁵.

1. سلامة موسى: أحلام الفلاسفة، ص 15.

2. حاتم النقايطي: مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو، ص 73.

3. المرجع نفسه، ص 77.

4. المرجع نفسه .

5. محمود أحمد عبد الغفار: صورة المدينة في الشعر العربي الحديث في مصر، المرحلة الكلاسيكية، 12، N2، 2007، N09، ص 5.

إن المدينة الفاضلة عند أفلاطون هي أكبر الأحلام التي عاشها و أراد تطبيقها على أرض الواقع، فحاول أن يُنشأ تلك المدينة و يحدد معالمها ومن يَحْكُمُهَا وفق رؤيته، وبالطبع الفئة التي أراد أن تحكم مدينته هي الفلاسفة.¹

غير أن فكرة المدينة الفاضلة، ما من أحد عاجلها بعد أفلاطون، إلا وسار على نهجه؛ حيث أنه ما من عالم أو باحث أو فيلسوف كتب عن المدينة وخصوصاً المدينة الفاضلة إلا وكانت جمهورية أفلاطون ملهمته، ومن بين هؤلاء نذكر نموذجاً عربياً إسلامياً بارزاً في الفكر الفلسفي الإسلامي، وهو "الفارابي"، الذي كرس حياته في دراسة الفلسفة اليونانية والتوفيق ما بين قطبيها البارزين.

فألف كتابه حول المدينة، "آراء المدينة الفاضلة"؛ إذ تحدث فيه عن مدينته الفاضلة وصفاتها و صفات رئيسها، ثم ينتقل إلى ما يضادها وهو في اقترباته يعبر عن معرفة ثاقبة بالسلوك البشري و دراية فائقة بأغوار النفس و نوازعها و محفزات شرورها وخيراتها. فيقول في تعريف المدينة الفاضلة « بأنها المدينة القائمة على التعاون بين الأشياء والتي ينال بها السعادة، وهي تشبه الجسم الصحيح الذي يتعاون كل أعضائه على تميم الحياة وحفظها، فكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه؛ فلذلك لا يمكن أن يكون الإنسان في حال الكمال إلا في اجتماعات كثيرة متعاونة». ² وبالتالي فإن السعادة والسلام والأمن هي كل ما تسعى وتجاهد إليه المدينة.

كما أنه تحدث عن المدينة المضادة والتي رمز لها بالنفس الأمارة بالسوء، فيقول « والمدينة الفاضلة تضادها المدينة الجاهلة، والمدينة الفاسقة، والمدينة المبتدلة، والمدينة الضالة و يضادها أيضا من أفراد الناس نواب المدن». ³

1. ينظر: المدينة الفاضلة عند أفلاطون وكما رآها الفارابي، 26 أفريل 2021.

<https://www.Moufker.com>

2. سالم جابر النصايي: المدينة الفاضلة عند الفارابي (دراسة فلسفية)، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، ج 3: الفلسفية، ع 54، 2020، ص 47.

3. المرجع نفسه.

وأختتمت المدن المثالية مع "توماس مور" "ThomasMore" من خلال كتابه "اليوتوبيا"، ولعل هذه الكتب كلها اشتركت فيما بينها في محاولة تجاوز الواقع القائم، وبناء عالم أفضل، بالرغم من اختلاف الأسباب التي دفعت كل واحد منهم لذلك.

وعليه إن الاشتغال الفلسفي على موضوع المدينة ليس وليد اللحظة، بل هو موضوع قديم له عمق تاريخي وحضاري يعود إلى متون النص السفسطائي* المتمرد على الواقع الأثيني آنذاك، كما تمتد جذوره إلى العصر الحديث، من خلال اشتغال كثير من الفلاسفة عليه أمثال "هيغل".²

حيث أن "هيغل" "Hegel" من المهندسين الأساسيين في تاريخ الفلسفة الداعمين للتصور القائل بأن المدينة هي من أنشأت الفلسفة، وذلك أنه في تصوره العام للواقعي والمثالي، والعلائق التي تربط بين الواقع والعقل، تحضر المدينة كما لو كانت إحدى تجليات هذا التطابق و تحجها الدولة باعتبارها نُشْداناً للكمال من حيث هي حق وحرية و "لوغوس" "Logos". إذن العلاقة هنا نسقية بين المدينة كنسق جزئي، والدولة كنسق كلي وهي بالأساس ربط بين الفلسفي والسياسي.³

وفي الأخير نقول أن المدينة مشروع فلسفي بامتياز منذ أفلاطون" إلى "هيغل" وكذلك من خلال ما شيده أرسطو في كون الإنساني كائنا سياسيا و مدنيا... وعليه فالمدينة لم تشكل موضوعا ثانويا في تاريخ الفلسفة بل شكلت محورا مركزيا تدور عليه قضايا فلسفية أخرى.

1. سالم جابر النصايي: المدينة الفاضلة عند الفارابي (دراسة فلسفية) ص 47..

* صفة نعت من كلمة "سفسطة"، وهو نوع من المعلمين في اليونان القديمة في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، تخصصوا في استخدام أدوات الفلسفة والبلاغة، زعموا أنهم يعلمون السمو والفضيلة والحكمة.

2. ينظر: حسن أغلان: المدينة الفلسفية أية علاقة.

* من أشد الكلمات أهمية وأكثرها غموضا في الفكر الغربي الديني والفلسفي، لها عدة دلالات كالخطاب، اللغة، العقل الكلي، القانون...

3. ينظر: المرجع نفسه.

3- المدينة في الدراسات التاريخية:

المدينة هي إحدى أعظم مظاهر الحضارة الإنسانية، عرفها "مفورد" "Mumford" بأنها « حقيقة تراكمية في المكان والزمان، ويمكن استقراء تاريخها من مجموعة من التراكمات التاريخية، والأخذ بالمبدأ التاريخي الذي يقول أن المدينة تاريخ قديم، و أن التعرف عليها يتم من خلال الشواهد العمرانية القديمة».¹

وهذا يعني أن المدينة هي ظاهرة تاريخية بالأساس، فهي ليست وليدة اللحظة الراهنة، بل وليدة سياق تاريخي، وبالتالي فإن أي محاولة لفهم المدينة والإحاطة بحدودها المعرفية يقتضي إجراء قراءة تاريخية لكيفية نشوئها و تطورها.

لقد عرف الإنسان المدينة منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وليس كم يعتقد البعض بأنها حديثة العهد، و بأنها نتاج الثورة العلمية التي اجتاحت العالم منذ أكثر من قرن، فهي «تعد وحدة تشكيلية قديمة خبرها المجتمع الإنساني منذ زمن يرجع إلى سبعة آلاف سنة، فهي إذن أصيلة و يؤكد هذه الأصالة كل من تناولها بالدراسة».²

قد عرفت مختلف حضارات العالم المدينة، ففي الشرق كانت مدينة سومر الحاضنة للحضارة السومرية، والواقعة في الحوض الأدنى لبلادها من ما بين النهرين وهي العراق حالياً. من أعرق المدن و أقدمها في العالم، حيث كانت مدن وادي الرافدين من أسبق مدن العالم القديم ظهوراً واستقراراً.³

إضافة إلى مدن كثيرة و كبيرة شاهدة على عظمة الحضارة السومرية. كما عرفت كذلك الحضارة الفرعونية واليونانية والرومانية والهندية وبالتالي « إن العالم القديم كان عالم مدن وان كانت كل مدينة تعد في حد ذاتها عالم قائم بذاته».⁴ فكل مدينة من هذه المدن أن تشكل حضارة وعالم مختلف من حيث خصوصياته، وتطلعاته

1. المدينة تعريفها و مفهوما و خصائصها الجغرافية التطبيقية

[https:// www. Geopratique.com](https://www.Geopratique.com).

2. مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982، ص 10.

3. ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

4. المرجع نفسه.

الاقتصادية والاجتماعية، والبحث عن الحرية التي أصبحت تمثل الحياة الحضرية فهي نتاج لجمهور الإنسان ترتبط ترابطاً عضوياً بطبيعته الساعية نحو الحرية، مما جعلها خير شاهد على منجزاتها الثقافية الكبرى التي حققها بداخلها واكتسب منها أسس استمرارها.¹

ومنه فإن المدينة هي أساس تطور الحضارة والثقافة البشرية وهي « ثمرة بتطور تاريخي بعيد المدى نتجت عن غرس مديني نشأ تلقائياً أو بمطلب ذاتي، أدت إلى قيام مراكز عمرانية على حواف الأنهار في مساحات واسعة في القارتين الآسيوية والإفريقية».²

وقد نشأت مدن كثيرة في كنف الحضارة الفرعونية واليونانية والفارسية والرومانية لا تقل أهمية عن الحضارة السومرية، حيث شهدت مدنا سياسية واقتصادية مثل "روما" و"القسطنطينية"، إضافة إلى مدن ذات صفة تجارية ك"تدمر" و"جرش" "قرطاجنة"، في حين اكتسبت أخرى صفة سياسية ك "دمشق" و "أنطاكيا" و"بيروت" و"الإسكندرية" وغيرهم.³

أما في العصور الوسطى فقد كانت الحياة المدنية في أوروبا تشهد ركوداً، في مقابل الحضارة العربية الإسلامية التي اجتاحت بلاد الشرق، وكونت دولا عربية إسلامية ذاع صيت مدنها، وتمتعت بشهرة واسعة في ذلك العصر، نخص منه بالذكر: "البصرة"، "الكوفة"، "الموصل"، "لفسطاط"، "القيروان"، "واسط"، "بغداد"، و"سامراء" و"القاهرة"... وغيرها.

فقد كانت بعض هذه المدن ذات طابع عسكري مثل "البصرة" و"الكوفة" و"القيروان"، وأخرى لها طابع إداري "كواسط"، و بعضها سياسي مثل "القاهرة" و "بغداد" و "سامراء" وبعضها الآخر غلب عليها صفة التدين "كالنجف" و "كربلاء".⁴

1. مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص 16.

2. المرجع نفسه.

3. ينظر: المرجع نفسه، ص 17.

4. المرجع نفسه.

ازدهرت المدن الإسلامية ووصلت سمعتها و شهرتها الحضارية إلى أبعد ما وصلت إليه المدن الحديثة، و «صارت مضرب الأمثال في مظاهرها العمرانية و أنماطها الاجتماعية و نشاطاتها الثقافية و الفنية».¹ في كل العصور الإسلامية.

4- المدينة في الدراسات الأدبية :

للمدينة أثر عميق في وعي الروائي، إذ يتعامل مع هذا المكان رؤية و معايشة و تذكراً و تخيلاً كحيز جغرافي فحسب، فعندما يصف الروائي المكان لا يفعل ذلك على طريقة الجغرافيين، فالمدينة ليست شوارع و أزقة و ساحات عمومية فقط، بل هي مجموعة الآلام و الأحزان و الأفراح و الأحلام، فهي بناء متخيل روائي يعكس مختلف الرؤى و الملامح التي تشخصها المدينة بأحيائها و أزقتها.

فالمدينة الواقعية: هي المكان الذي تدور فيه الأحداث وهي أماكن محسوسة حقيقية متجسدة على أرض الواقع تحضر في الرواية بأسمائها، وهذا ما يضيف عليها واقعيته و المكان الواقعي عند الناقلين "رولان بورنوف" Roland Bourneuf و "ريال أونليه": «المكان الواقعي يبين تكويناته من الحياة الاجتماعية»² أي تفاعل بين الإنسان و المجتمع الذي يعيش فيه، فإذا ذكر اسم مدينة مثلاً، أو ركن أو شارع، فنحن ندرك تلقائياً الحدود الجغرافية لهذه الأماكن.

أما المدينة المتخيلة: فهي المكان الذي ليس له وجود محسوس أو حقيقي وهو أقرب إلى التصور والافتراض يدرك ذهنياً ولا يجسد على أرض الواقع، وفضاء المدينة المتخيلة من صنع خيال الروائي لذا «فإن مكان الرواية ليس المكان الطبيعي، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته و أبعاده المميزة...».³

ويرى الناقد "جيرار جنيت" أن هذا الفضاء المتخيل «من شأنه أن يلغي الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب، وهو يشير إلى الصورة التي تخلفها لغة الحكيم و ما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل

1. مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص 17.

2. رولان بورنوف و ريال أونليه: عالم الرواية، تر: نجاد التركي، مراجعة فؤاد التركي و محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991، ص 27.

3. سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، منشورات الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، 1988، ص 104.

عام»¹، إذ ينتج هذا الفضاء «عن طريق عوالم غير موجودة إلا في ذهن القارئ وما بين يديه ما هو إلا سبيل من الدلالات المنضودة على الورق وقد قام الروائي بتنظيمها على نحو خاص يوحي أو يقرب أو يسهل ولادة العالم المتخيل في ذهن القارئ، فالألفاظ مفاتيح يستعين بها القارئ لإنشاء مدينة التخيل»².

ومنه نستنتج أن نجاح العمل الأدبي مرهون بالارتباط والمزج بين الفضاء الواقعي للمدينة و الفضاء المتخيل، فالخيال أداة يستعين بها الروائي لخلق جو مفعم بين المؤلف الواقعي وغير المؤلف، ينتقل القارئ من خلاله من فضاء لآخر.

ثالثا: المدينة وفضاء المغامرة:

المدينة والريف ثنائيتين متضادتين و مكملتين لبعضهما البعض، فمن غير الممكن الحديث عن المدينة دون التطرق لنظيرتها القرية (الريف) والعكس صحيح، ومن البديهي أن يكون هناك اختلاف بين حياة التمدن وحياة الريف، كما أن هناك أيضا اختلاف من حيث علاقة الإنسان بكلا المحيطين، سواء من خلال قيمه أو قدراته، أو حتى طرق عيشه... الخ حيث أننا «لن نستطيع كشف ذاتنا و فهمها على حقيقتها إلا عبر لقاء الآخر، فيتبين مدى تألفها حين تفتح عليه، ومدى يؤسها حين تنغلق جدران ظلمتها»³.

ومنه فإن الإنسان لا يكتمل وجوده وكيانه إلا بواسطة بيئته و الحيز المكاني الذي يعيش فيه سواء أكان مدينة أو ريف، أو منزل...، وبما أن المدينة هي أكثر انفتاحا على الآخر، فقد ارتأينا التطرق إلى علاقة المدينة بالإنسان وبالريف، وهذا لفهم المدينة وكيفية تعاملها مع الآخر من جهة أخرى.

1. حميد حميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000، ص 53.

2. عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، (مقاربات نقدية في التناص و الرؤى والدلالة)، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 09.

3. ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 87.

1- المدينة و الإنسان:

إن الإنسان دائم الارتباط ببيئته ارتباطاً وثيقاً، فهو مكمل لبيئته و بيئته مكملة له، فالمكان أو المحيط الذي يعيش فيه الإنسان له كبير الأثر في تكوينه النفسي و العقلي و الفكري والأخلاقي، وفي علاقته بالآخرين. « إن مكوث الإنسان في بيئته منذ الولادة والنشأة بين أهله وعشيرته، و لتعوده على ظروف معينة وعادات وتقاليد خاصة... يجد من الصعوبة مكان تغييرها أو تقبل ما يختلف عنها، يضاف إلى ذلك العلاقات الاجتماعية التي اتسمت بسمات معينة من ذلك المحيط الذي نشأ فيه الإنسان»¹.

ومن هنا ينشأ ذلك الترابط الوثيق بين الإنسان وبيئته، و تكون صلته بها أوثق و أشد تثبيتاً في كيانه ووجدانه بكل ما تجمله تلك البيئة سواء سيئة أم حسنة، فكما يقال الإنسان ابن بيئته.

وعليه فإن المكان يلعب دوراً هاماً في تكوين الإنسان، و تأطيره و ترسيخ كيانه و طبعه بطباعه، ومن هنا التأثير على تصرفاته و إدراكه للأمور، فالمكان هو المنطلق لتفسير أي سلوك إنساني، وعليه فإن مُنْطَلِقنا في هذه الدراسة هو المدينة.

إنّ الإنسان في احتكاك مستمر مع المدينة التي يعيش فيها، يعرف ذاته من خلالها، كون علاقتهما هي علاقة تأثير و تأثر متبادلة، ومن هنا أيضاً تتحد هوية هذا الإنسان، إذ لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، بل إنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها جذوره و تتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان

1. محمد إبراهيم حور: الحنين للوطن في الشعر العربي، دن، دط، دت، ص 13.

والهوية، شكل الفعل عن المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها،¹ ولهذا فإن هوية الإنسان و وجوده دائما تتحدد من خلال المكان، و قد تتحدد هوية المكان بهوية الأشخاص.

إنّ علاقة الإنسان بالمكان تبدأ من منذ الطفولة إلى مراحل متقدمة من عمره، غير أن المراحل الأولى من حياته هي من تكون شخصيته و حدوده و كيانه، كونها الأكثر التصاقا في الذاكرة بالمكان الذي يعيش فيه الإنسان، و يبدأ منه في اكتشاف العالم والوجود من حوله، وبالتالي فإن « معايشة الإنسان للمكان و تألفه معه أو معاداته له يشكل الخلفية الارتكازية لكل تصور أو توجه أو تشكيل في».²

وعليه فإن الارتباط بالمكان و التعلق به، هو ارتباط وجداني و نفسي، واجتماعي و سياسي و ثقافي، و حتى جمالي، وليس هذا فحسب فالمكان دائما ما يعكس طبيعة شخصية الإنسان و حقيقته، والمدينة هي المكان الأنسب لهذا دور حيث « يقدم لنا المكان [المدينة] يد المساعدة في التعرف على الشخصية، ذلك أن قراءة دلالية المكان توضح لنا ملامح و مميزات الشخصيات و طباعها».³

وعلى هذا فإن الإنسان لا غنى له عن المكان، فهو لا يستطيع العيش بمعزل عنه، فهو عبارة عن مرآة عاكسة لملامحه الجسدية والنفسية، كما يمنحه سماته الخاصة، و يحدد هويته و كيانه، فمثلا إذا انتقل ابن الريف للسكن في المدينة، فسيكون حتما التطبع بقيم و أخلاق تلك المدينة، فيظهر ذلك في السلوك كما يظهر في اللغة كذلك وفي القيم الاجتماعية.

1. ينظر: عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص 268.

2. قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، (دراسة في إشكالية تلقي الجمالي للمكان)، ص 259.

3. صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2010، ص 55.

ومن هنا كان الاختلاف بين المدينة و الرف قائم، فلكل منها مميزات و قيمه و عاداته و تقاليدته التي تميزه عن الآخر. وعليه فإننا بقولنا المدينة لا نقصد تلك المساحة الجغرافية، بل نقصد كل ما تشتمل عليه من أحداث و شخصيات، و قيم و أعراف و تقاليد و هموم و تطلعات و آمال هذه المنطقة و ساكنيها، ففي الحقيقة المدينة هي تصوير لحياة الإنسان و المجتمع، تعمل على تعرية الحقائق و كشف الخبايا، « فوجود الإنسان لا يتحقق إلا في علاقته بالفضاء تدفعه هذه العلاقة إلى أنواع من المعرفة، لا يقف عند حدودها، بل يتجاوزها إلى امتلاك فضاء أرضي يمارس وسطه فعل الحياة، يتوطن فيه و يتجذر، و يكون لنفسه هوية تمثل كيانه الذي لا يتجرأ منه الفضاء»¹ إذن هذا يعني أن فضاء المدينة يحقق الوجود الإنساني، و شرط أساسي لتحديد الهوية و الذات و لذا «كان ارتباط البحث عن الهوية بالبحث عن المكان، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، بل تُبسط خارج هذه الحدود، حيث المكان الذي يمكنها أن تتفاعل معه».²

وفي الأخير نقول أن علاقة الإنسان بالمدينة هي علاقة تكامل، كعلاقة الجسد بأعضائه «هذا "الجسد المكان"، أو لنقل بعبارة أخرى "مكمن" القوى النفسية و العقلية و العاطفية و الحيوانية للكائن الحي».³ وعليه لا يمكننا فصلهما عن بعض، كون كل منهما مكمل للآخر، كما أن المدينة هي تاريخ الشعوب وثقافتهم الخاصة، وهذا لأن الإنسان بطبعه يؤثر في المكان الذي يتواجد فيه، و يتأثر كذلك، « فكثيرا ما يحدث التشابه بين الإنسان و المكان الذي يسكنه».⁴

1. الشريف حبيلة: الرواية والعنف، (دراسة سوسيولوجية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 22.

2. المرجع نفسه.

3. قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص 267.

4. الشريف حبيلة: الرواية والعنف، ص 22.

ولعلّ هذا ما يفسر اختلاف المدن والمناطق بعضها عن بعض من حيث الطابع والعادات والتقاليد والأخلاق والقيم... الخ.

2- المدينة والريف:

المدينة والريف عبارة تحمل ثنائيتين متضادتين ومتقابلتين، تشكلت بينهما هوة واسعة على مر السنين، وهذا راجع للنظام الإقطاعي الذي حكمت به المدينة الريف حيث: «كانت تنظر إليه على أنه ملكية خاصة لها، ليس عنصراً له الحق الكامل في خيرات بلاده على قدم المساواة»¹.

ولعلّ هذا ما عمق الهوة بينهما وخلق جدلاً واسعاً باعتبار كليهما نقيضاً للآخر، فأخذت المواجهة والمقارنة بين الريف والمدينة تأخذ أشكالاً أخرى كالهجاء المتبادل وانعدام الثقة، «المدينة تنظر إلى الريف على أنه متخلف، و أن فتح أبواب المدينة أمامه يؤدي إلى فقدانها لقدر من رفايتها ونظافتها في الخدمات الراقية التي أصبحت حقاً مكتسباً لها، حتى و إن كان الريف هو الذي يمول تلك الخدمات أو يسهم فيها بنصيب»².

في حين أن القرية تنظر إلى المدينة على أنها السلطة المستبدة والظالمة، و أنها الحاكمة و المتحكمة فيها بقبضة دكتاتورية، لعل هذا ما أدى إلى صعوبة الاندماج والتواصل بينهما.

إنّ العوامل الاقتصادية ساعدت بدورها على نشأة المدن الضخمة المتطورة، التي تتوفر على كل سبل العيش الكريم، فكانت المدينة لغة الإنسان المعاصر، «ففي ضل التطور المذهل، وشارع وتيرة إيقاع الحياة، و بخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح الريف عاجزاً عن تلبية حاجيات الأفراد، ولهذا مهد لانهياره و فقد أهميته بسبب

1. محمد حسين عبد الله: الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، 1989، ص 148.

2. المرجع نفسه.

تقدم عهده وتطوره وعجزه عن مواكبة الأحداث»¹. وهذا ما جعل الريف ذو بنية تحتية ضعيفة ولا تتوفر فيها أبسط الخدمات والمرافق الضرورية، إضافة إلى قلة جودة التعليم و الثقافة.

«ولعلّ حاجة الريف إلى المدينة تضاعفت واشتدت منذ الثورة الصناعية في أوروبا، حيث سخرت الصناعة لخدمة الزراعة فتطورت صناعة الآلات ذات الوظائف الزراعية التي يسرت كثيرا على الفلاحين في الأرياف أعمالهم وزادت من إنتاجهم»².

وهذا ما جعل المدينة المركز الاقتصادي والتجاري والصناعي، إضافة لتوفرها على متطلبات الإنسان وحاجياته المختلفة، هذا ما يجعلها محط أنظار الكثير وخاصة فئة الشباب، إذ أن «المدينة لها خاصية الجذب لما فيها من مظاهر العظمة والترفيه وفرص العمل مما يدعو الكثير إلى التمسك بحياة المدينة وهجر الريف الذي أصبح لا يطاق من جهة نظر البعض»³.

وهذا الاختلاف في التوازن بينهما راجع إلى اختلاف مزايا و خصوصية كل منهما، فالمدينة بما كل الخدمات التي تسهل العيش و تزيد من فرص تحسين الظروف الاجتماعية و المعيشية للفرد، كل هذا جعل منها فضاء جذاب لأهل الريف، و تشجيع للنزوح الريفي نحوها.

كما أنّ المدينة ترى أن الريف كما قلنا ملكية خاصة، دورها هو تزويدها بالمواد الأولية والمنتجات الفلاحية والطبيعية و فقط، وهذا ما جعل الريف ينظر إلى المدينة بأنها مقر السلطة والحكم وسنّ القوانين ،

1. قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص 269.

2. قرطي خليفة: المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1994، 1995، ص 154.

3. محمد عاطف غيث: علم الاجتماع الحضري، ص 99.

والقرارات و تزيين بأزياء مخادعة وتسحر القادم إليها وتبهره بخداعها وإغراءاتها «فتبدو المدينة أدمى للعقل وأميل

إلى المستقبل وألصق بالحاضر، وأقدر على التلاؤم مع وتيرة التطور الأقرب إلى التغيير والانفتاح، أما القرية [الريف]

فأدنى إلى الماضي، وأحرص على الذاكرة والحلم والخيال والعواطف، وأكثر ارتياحا إلى الثابت و المغلق»¹.

ولهذا ربما كان ابن الريف دائما في مقارنة مع ابن المدينة، فيشعر بشيء من النقص والضعف، و ربما الرغبة

في التقرب والتقليد.

إنّ العلاقة بين المدينة والريف هي علاقة نفعية ومصالحة متبادلة، فكل طرف يستفيد من آخر، وإن كان

كلاً الطرفين له خصائص ينفرد بها، ولعل أول ما يلفت النظر في المدينة هو مظهرها الخارجي وطابعها العمراني إذ

تتماز بـ«علو جدرانها، الارتفاع الشاهق لأبنيتها و التنظيم الآلي للحياة فيها، وتخصص أمكنتها وضيق أزقتها، وكثرة

المتسكعين والبطالين فيها، وبراقة منظرها و كثرة أضوائها وغلبة الازدحام والضوضاء على محيطها»².

غير أن حياة التمدن هذه من شأنها ترك أثر وانطباع في نفسية الإنسان، وتوجه حياته مستقبلاً.

هذا وللمدينة أنساق ثقافية واجتماعية وقوانين تضبطها وتحكمها، كما للريف كذلك خصوصية ثقافية

ومميزات خاصة ينفرد بها عن المدن سواء من حيث الطبيعة الجغرافية أو من حيث عادات وسلوكيات قاطنيه، إذ

أن الريف والمدينة يختلفان جذريا في نمط تكوينهما، حيث أن «أهل الريف أكثر تجانسا، ولهم خصائص نفسية

1. عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية (الصورة و الدلالة)، دار حمود علي للنشر تونس، ط1، ص 478.

2. قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص 172.

تميزهم عن الحضريين، كالتمسك بالقواعد الأصلية للسلوك الجمعي والعرف، وهم أكثر إيماناً بالقضاء والقدر، مما يقلل نسبة الأمراض العصبية والعلل النفسية في القرية [الريف] مما عليه الحضرة [المدينة]»¹.

ومن الملاحظ في الرواية العربية أنها تعتمد في نسجها على الزمان والمكان، وعلى حياة أشخاص متعددين غير معزولين عن الفضاء الذي تدور فيه أحداث الرواية، سواء كان فضاء ريفي أم فضاء مديني... كما أننا لا يمكننا أن نجد رواية تجري بكاملها في المدينة دون إشارة ولو مقتضبة إلى الريف، والعكس صحيح، إذ أن ذكر الريف في الرواية إنما هو «نتاج طبيعي لإحساس الروائي العميق بالانتماء إلى الأرض، وإلى القرية الهادئة الوادعة التي ظلت تحافظ على نقاءها و بساطتها، فلم تطلها المدينة بحضارتها فتفسدها»².

إذن فشعور الإنسان بالانتماء إلى الريف هو شعور فطري في الفكر البشري، هذا الفكر الحامل لقيم البساطة والنقاء والتلقائية، عكس الإنسان في المدينة يلهث وراء أطماعه و مصالحه و رغباته، فيتطلب الإحساس و الشعور لديه شيئاً فشيئاً، وتصبح العلاقات يشوبها الجفاء والبرود، وتطفي عليها مظاهر العصر كالمصلحة والأنانية و غير ذلك، فيجد المرء نفسه ضائع في عالم تتضارب فيه القيم و المعايير الأخلاقية، مما يؤدي إلى تغيير نظرتة التي كونها سابقاً عن حياة التمدن و المدينة، فيشرع في البحث عما يحقق له ذاته و كيانه المادي.

رابعاً: المدينة في الخطاب الروائي:

1- المدينة في الرواية العربية:

تعد المدينة من الموضوعات التي من خلالها يتم التعرف على أبرز التطورات الفنية والجمالية الحاصلة في الرواية الحديثة والمعاصرة، حيث أن الرواية ولدت وتنامت موازاةً مع التحولات الكبرى التي طالت تطور المدن

1. مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995، ص 172.

2. سليم بثقة: تعريف السرد الروائي الجزائري، دار الحمد للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص 7.

والحياة المدنية، فعدت تُعد كائناً مدنياً وهذا ما يؤكد "حسن حمودة" عندما يقول: «الرواية هي كائن مدني انتساباً إلى المدينة الضخمة بديهة في نقد الرواية لاسيما نقد رواية القرنين التاسع عشر والعشرين»¹.

فعلاقة المدينة بالرواية هي علاقة وطيدة، باعتبار هذه الأخيرة نشأت وترعرعت في حضن المدينة، و لهذا يصف "جورج لوكاتش" "George Lukàcs" الرواية بأنها ظاهرة مدنية، وجنس أدبي مهيم و مستجد، ومبتكر في طرائق التعبير واللغة السردية، وحتى أصبحت تواكب الرؤى الجديدة والمتجددة للعالم والحياة ككل، وحتى العلاقات الإنسانية وكيفية التعامل مع الأشياء، وهذا يعني أن للمدينة والرواية تاريخ مشترك؛ «فالصلة بينهما بدأت تنعقد منذ أن أصبح هيغل في كتابه "الاستيطيقا" فكرة أن الرواية ملهمة برجوازية»². وهذا يعني أن المدينة البرجوازية الحديثة هي المكان الذي انبثقت منه الرواية كفن نثري معبر عن الواقع الخارجي و قضايا مجتمع المدينة بكل صراعاته و تناقضاته و طبقاته و آماله وتطلعاته. وعليه فإن الرواية هي إحدى صناعات المدينة البرجوازية إبان الثورة الصناعية، ولهذا فقد أسهب المبدعون في الحديث عن المدينة في أعمالهم الإبداعية واخترقوا فضاءاتها وصوروا نمط الحياة فيها، إذ لا تخلو هذه الأعمال الأدبية من حضور المدينة، فقد أصبحت موضوعاً و أداة تعبيرية، ووعاء حسياً تسكب فيه كل الألوان الأدبية والفنية، فهي تعد فضاء مفتوحاً ذا أبعاد اجتماعية وثقافية، وهي انعكاس للمجتمع وخصوصياته الفكرية، ومركز للخلق والإبداع كما ذكرنا سابقاً.

وربما هذا ما يفسر ازدياد إقبال واهتمام الروائيين في أوروبا و أمريكا بما في القرن العشرين، و جعلها فضاء لإبداعاتهم، كما أن ما كُتب عن المدينة في الرواية أكثر مما كُتب عنها في الشعر، ولربما يعود السبب إلى كونها

1. حسين حمودة: الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينات في مصر)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، 2000، ص 19.

2. المرجع نفسه.

ظاهرة روائية أكثر منها شعرية و تستقيم دراستها في الفن القصصي على نحو أسهل و أوضح من الفن الغنائي.¹ كما أن ما شهدته هذا القرن من بداية التمركز الحضاري غير المسبوق، و نشوء مدن عملاقة، و تفاقم ظاهرة الهجرة إلى المدن، إضافة إلى نشوء طبقات اجتماعية جديدة، جعل من المدينة موضوعاً متجلياً في أعمال كبار الروائيين أمثال: بلزاك، و ستندال، و ديكنز و ديستوفسكي... إلخ. حيث «لم تأخذ المدينة شكل المركز الحضاري المتميز، و مقام الثقل الكلي، إلا حديثاً، بعد تطور المجتمع:» تقدمت التكنولوجيات لتتيح للإنسان الجديد هندسة مدن عملاقة، يمكنها استجاب مؤسسات كبرى و كثافة سكانية، علاقات متعددة و معقدة، بحيث أصلح الإنسان علامة من علامات السياق المدني الجدلي الذي يتحرك بسرعة مذهلة».²

وعليه فقد تم تسليط الضوء عليها و تزايد الاهتمام بها كونها «هي المكان الذي يتسع لاستيعاب جدل و صراع التناقضات بكل أطرافها و محاورها»³

غير أن المواقف التي جسدها المدينة في الرواية الغربية كانت تتراوح بين الرفض و القبول، ففي القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، عُدت من قبل بعض الروائيين بأنها موطن للذيلة و الشر و مرتبطة بكل ما هو قبيح، فهذا "جورج هنري" (G.Henri) يذهب إلى أن العلاقة بين الرواية و المدينة هي علاقة متوترة، و أن المدينة عدوة الرواية، بينما يعتبرها ديستوفسكي (Distwivisky) بأنها عدوة الإنسان، و يعتبر أدبه تحريضا ضد المدينة.⁴

1. ينظر: سليم بتقة : الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة) رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، جامعة لخضر، باتنة، 2009/2010، ص 4.

2. إبراهيم رماني: أسئلة الكتابة النقدية، (قراءة في الأدب الجزائري الحديث)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، حط، دت، ص 80.

3. رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية، ص 106.

4. ينظر: جوادى هنية: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية في الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012، ص 100.

ففي روايته "الجريمة والعقاب" يسلط الضوء على النظام الاقتصادي آنذاك في روسيا وانتهياره وصعود الرأسمالية، حيث اتخذ من مدينة "سانت بطرسبرغ" موضوعاً له لمعالجة قضية الجريمة و تحليل شخصية المجرم المتمرد على الأخلاق التقليدية "رسكلولينوف"، في مدينة كانت تسود فيها المتناقضات وآلافات الاجتماعية المختلفة.¹

وعليه فإن الرواية إنما تعكس تمايزات المدن انطلاقاً من التعبيرات النفسية و الاجتماعية والسياسية، وهذا ما جعل الروائيون يعتمدون إلى رصد مختلف التحولات والتغيرات الحاصلة في المدينة و فضاءاتها، كون المكان من العناصر الأساسية التي يقوم عليها السرد الروائي، إذ « إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى و سيجري به شيء ما، فبمجرد الإشارة إلى المكان كافية كي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك لأنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث».²

وبالعودة للحديث عن موقف الروائيين الغرب من المدينة، و طريقة توظيفها في الرواية، نجد أن "هنري جيمس" (H. James) من الروائيين الكبار الذين مجدوا المدينة الضخمة و فضاءاتها، لكنه مع ذلك لم يستغنيها من النقد.³

كما أن هناك كثير من الروائيين من ارتبط اسمهم وعرفوا عن طريق فضاءات المدن التي كتبوا عنها، حيث ارتبطت سيرهم بسيرها سواء على الصعيد الواقعي أو حتى على الصعيد التخيلي، و لعل هذا ما وجدناه عند كلا من الكاتبين الفرنسيين هنري بلزاك "Balzac Henri" و إميل زولا Emile Zola اللذين قدما سيرة مدينة باريس، إذ جعلها قريبة من الوجدان العالمي، كذلك الأمر عند الكاتب الأمريكي "بول أوستر Paul

1. ينظر: جوادي هنية: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، ص 100.

2. صالح ولعة: المكان و دلالاته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، ص 9.

3. ينظر: جوادي هنية: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، ص 100.

"auster" الذي بلغ به عشقه لمدينة نيويورك حد كتابة ثلاثية روائية متميزة حملت عنوان "ثلاثية نيويورك"¹، قام فيها باستحضار بعضاً من فضائهما، كحي "بروكلين" الشهير، الذي كان له حظاً أيضاً في رواياته الأخرى مثل رواية "حماقات بروكلين"².

وعلى ذكر المدن الروائية، فمن الملاحظ أن هناك مدن عنونت بها الروايات وذكرت اسمها، ووصفتها من مثل روايات بول أوستر وغيره كثير، في حين أن هناك روايات لم تذكر اسمها واكتفت بإبراز ملامح هذه المدينة فقط، ولقد أطلق عليها "نبيل سليمان" "إستراتيجية اللا تعيين" في كتابه الذي جاء بعنوان "أسرار التخيل الروائي"³. فهذه المجازية وما تتيحه من قدرة على التخيل رهاها على المكان، لكن ليس بتحويل الرواية إلى كاميرا بل بأن تنبض الصورة الروائية بالحياة، وأن يكون للمكان الروائي رائحته التي نشمها، فتعرفنا من جديد على ما نعرف، أو تجذرنا في ما لا نعرف.⁴

وهذا الكلام ينطبق على المدينة في العمل الروائي، فما هي إلا إبداع فني وجمالي، حيث لا يتم تناولها كمظهر خارجي فحسب بل تتجاوز ذلك إلى فضاءات متخيلة.

1. ينظر: صورة المدينة في الأدب الروائي، مجلة فكر الثقافة.

<https://www.fikrmag.com>

2. ينظر: المرجع نفسه.

3. ينظر: نبيل سليمان: بالخيال وحده إما تكون الرواية أو لا تكون، مجلة القدس العربي، 19 أبريل 2021.

<https://www.alquds.com>

4. المرجع نفسه.

إن الذي يجعل الطراز المعماري للمدينة أدبيا، لما يمنح الأدب الصمت صوتا، فيجعل المدينة تنتقل من عالم التخيل إلى عالم محسوس دون أن تتحدث و دون أن يكون لها دور إلا توفير السكن والسماح بممارسة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمالية والدينية.¹

وفي الأخير نقول أنه لا توجد فكرة موحدة عن المدينة لدى هؤلاء الكتاب، وهذا ما يجعل علاقتهم بها يسودها الغموض والتناقض والتأرجح بين ثنائيات ضدية كالحب والكره، والخير والشر، الحنين والقطيعة، القبول والرفض... الخ وهي أحاسيس تكون مجسدة في الشخصيات الروائية، على اختلاف أنماطها و مرجعياتها وخلفياتها، وهذا لأن المكان بصفة عامة يجاوز دلالاته الجغرافية، ويمتد إلى دلالات لها علاقة بالإنسان والمجتمع والحياة.

ومنه فإن «المدينة الروائية هي قبل كل شيء عالم من الكلام سواء أكانت انعكاسا أم انزياحا»² كما أن للمدينة نمط ورمز تتسم به، وتختلف له عن بقية المدن الأخرى، حيث يمكننا من خلاله قراءة مختلف أبعادها وتصوراتها النفسية والاجتماعية والفكرية، فتغدوا الرواية كيان صلب حافظ لتاريخ مكاني وإنساني.

2- المدينة في الرواية العربية:

لقد شكلت المدينة في الرواية العربية موضوعا هاما ودسما لها، واستطاع الروائي العربي تلمس جميع جوانبها، و تصوير كل ما فيها من تناقضات وصراعات، كما سجل الالتحام الشديد بين المدينة والرواية وما يعانیه فيها من زيف و شعور بالغرابة والضياع، خصوصا في تلك العقود التي مرت على المنطقة العربية، والانتكاسة والخيبة التي تعرضت لها من قبل الغزو الاستعماري.

1. ينظر: جان ايف تاديبه: الرواية في القرن العشرين : تر: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص 101.

2. نبيل سليمان: أسرار التخيل الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2005، ص 31.

والمتتبع للمدينة في الرواية العربية يلاحظ أنها في البداية كانت الرؤية حولها تتمحور و تقتصر فقط على الجانب الخارجي؛ أي على وصف المظاهر الحضارية والعمرانية فقط، غير أن المدينة ليست مجرد هذا فحسب، بل هي روح خلاقة تتبلور في شكل تجليات متعددة.

لقد استطاعت الرواية رصد مواقف متباينة عن المدينة العربية: «إذ جاء تاريخ المدينة العربية الجديدة حاملا لمعاناة مزدوجة، وهي المعاناة بين الذات والتراث العربي، ومن الآخر والمدينة الغربية، أي كان الإحساس متوترا بين قبول المدينة و رفضها».¹

وهذا ما أدى إلى ظهور صراع بين ما هو جديد ومعاصر وما هو تراثي قديم، حيث أن الظروف والتحويلات التي شهدتها الساحة العربية، وما عاشته من صراعات وتوترات مست جميع جوانب الحياة في المجتمع العربي، وهزت كيانه، وزادت من عمق الهوة بين أقطاره، فأضحت العلاقة بين الإنسان والمكان (المدينة) الذي يتواجد فيه تتسم بالمعاناة والضياع، تحولت على اثر ذلك تلك المدينة التي كانت فيما مضى رمز الحضارة والتطور والاستقرار، إلى رمز للألم والشتات والضياع.

وعليه: « إن المدينة في النص الإبداعي تتحول من الشكل الهندسي الذي يخضع إلى مقاسات معينة، إلى بنية دلالية أو فرضية تأويلية تشكل مجالا لنشاط قراءة منتجة، إنه فضاء أسلوبى مشكل من لغة مكثفة تسعى إلى خلق خطاب القراءة وليس كما يبدو للوهلة الأولى بأنه إطار مادي يرسم الحدود التي تقع فيه الأحداث ومجال تحرك الشخصيات، بل هو بنية دلالية في حبك العناصر الدلالية».²

1. ابراهيم رماني: أسئلة الكتابة النقدية، ص 78.

2. عبد الناصر مباركية: صورة المدينة في رواية عواصف جزيرة الطيور (لمطر والجراد) لخلالي خلاص، جامعة سطيف.

وبالتالي فإن المدينة لم تعد مجرد حيز مكاني وجغرافي تصب فيه الأحداث، بل أصبحت موضوعاً، وغابت أبعادها الهندسية المادية وتحولت إلى طاقة استعارية رمزية تمد المبدع بالإلهام، بل إنها تطوره من إحباطات الواقع وتتجاوز المعيشي واليومي، إلى الدلالة التعددية في التأويلات الممكنة لها، لذا فقد تصبح عند أحدهم امرأة فاتنة يتغزل بها، أو تصبح غولاً يُهدد حياتهم وكيانهم، و يمارس عليهم كل أنواع القسوة والقهر.¹

لقد استطاعت الرواية العربية أن تؤدي دوراً توثيقياً للمدينة، وترصد مناخها الاجتماعي والثقافي والسياسي، وأن تصور ذواتنا من خلالها، فالمكان ذاكرة كما يقال و الذاكرة تحتفظ على الدوام بصورة الأمكنة «فالإنسان بذاته أحرص و الصورة هي التي تتكلم، لأن من الواضح أن الصورة وحدها التي تستطيع أن تجاري الطبيعة».²

وعلى هذا فإن الروائي يعد المكان إحدى الشخصيات الفاعلة في الرواية، والمحركة للأحداث، ولا يتعامل معه كحيز جغرافي فقط بل كحيز إنساني في الأساس، وقد تصل أهميته لحد إطلاق اسمه على الروايات ككل والأمثلة على هذا كثيرة سواء في محصلتنا الروائية العربية أو الغربية.

ولما كانت الرواية جنساً أدبياً منفتحاً وقابلاً لاستيعاب كل الخطابات والمواضيع والأشكال الفنية فضلاً عن سمة التنوع التي وسمت الرواية الحديثة خصوصاً، كانت المدينة هي الأخرى قائمة على التنوع ، فهي كانت ولا تزال أشبه بوعاء ضخم فضفاض لطبقات اجتماعية عدة و لأجناس و ديانات شتى و ثقافات مختلفة

1. ينظر: طارق ثابت: الشخصية المدينة في شعر أحمد الطيب، ص 19.

2. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هساء، دار الجاحظ للنشر (كتاب الأفلام)، بغداد، 1970، 136.

ولأشكال متباينة... إلخ، هذا التنوع الذي نشأ مع ظهور المدن الأولى، وازداد وضوحاً مع اكتمال الثورة الصناعية

في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهذا التطور التاريخي في بنية المدينة يمكن إيجاد ما يوازيه في بنية الرواية.¹

وعليه فإنّ المدينة العربية ما هي إلا محصلة جملة من تأثيرات المدينة الغربية على المدينة العربية في شتى

المجالات و الأصعدة، فنقول أن هناك علاقة تأثر و تكامل بين المدينة والرواية، إذ أن كل تحول وتطور تشهده

المدينة، ينعكس بدوره على الرواية، التي هي فضاء متخيل ذو منبت مديني على حد تعبير "عبد الدائم السلامي"²

وإحدى الفنون الأدبية التي لها علاقة وطيدة بالمجتمع.

وبالعودة إلى المدينة في الخطاب الروائي العربي، نلاحظ أن "غالب هلسا" من الأوائل الذين تطرقوا إلى

علاقة التأثير المتبادل بين المكان والإنسان، حيث أننا لا نكاد نعثر في الرواية العربية على المدينة، إلا في مطلع

الثمانيات من القرن العشرين مع تنامي المدينة العربية، ونضج الرواية في كل من مصر والشام، حيث خلف

احتكاك المثقفين والروائيين بها، أعمالا كانت المدينة فيها مكانا هاما لاحتضان أحداث كثيرة عايشها الواقع

العربي، ولعل الروائي "نجيب محفوظ"، من أبرز من وظف المدينة في رواياته، إذ أن القاهرة كانت كثيرة الحضور فيها

بأحيائها الشعبية والتاريخية و البرجوازية، و بآثارها ومقاهيها و دورها.³ مثل خان الخليلي، القاهرة الجديدة....

1. ينظر: حسن محمود: الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينات في مصر)، ص 25، 26.

2. ينظر: عبد الدائم السلامي: الرواية العربية والمدينة.. تشابك العلاقات و الأمكنة مجلة القدس العربي، 29 أكتوبر 2019.

<https://www.alquds.com>.

3. ينظر: سليم بتقة: أليف في الرواية الجزائرية، ص 7.

إضافة إلى وجود روايات عربية أخرى كثيرة مثل إبراهيم الكوني، و "إلياس حوري"، و واسيني الأعرج وأحلام مستغامي وغيرهم، ممن وظف المدينة و جعلها متحركة في مجرى الأحداث، و أمزجة شخصياتها، أي يكون حضورها وارف المعنى.¹

«وأنّ تنقل كثافة حضور المدينة المكان إلى مستوى الوعي فيما تبرزه وجهة نظر الكاتب للعالم».² وهذا ما جسده رواية أحلام مستغامي "ذاكرة الجسد".

وفي الأخير نقول أن الرواية ابنة المدينة، وهي فضاء رحب مُشبع بمختلف العلاقات والأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية.

خامسا: المدينة فضاء روائيا:

لقد اختلفت و تباينت تعاريف و مفاهيم ومصطلح الفضاء من باحث لآخر ويعود، هذا الاختلاف إلى تضارب الرؤى ووجهات النظر وحسب "يوري لوثنان" "youriloutman" فإن الفضاء هو: «مجموعة من الأشياء المتجانسة، من الظواهر، أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة، تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية».³

إذن فحسب هذا الناقد فإن الفضاء يتميز بالاتساع الدلالي، فهو بنية يمكن اكتشافها داخل النص من خلال اللغة الواصفة وفي علاقتها مع النص و سياقاته الخارجية.

1. ينظر: عبد الدائم السلامي، الرواية العربية والمدينة... تشابك العلاقات والأمكنة، مجلة القدس العربي.

2. الشريف حبيلة: الرواية والعنف(دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، ص 59.

3. باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2008، ص 62.

وقد أعطى "حميد حميداني" مفهوما للفضاء، بقوله: «هو أوسع وأشمل من المكان، أي أنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكيم سواء تلك التي لم تصورها بشكل مباشر، أو تلك التي تدرك بالضرورة و بطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية»¹.

ويشير أيضا إلى مفهوم الفضاء في قوله: «إن فضاء الرواية، هو الذي يلفها جميعا، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية»².

ويتبين لنا حسب هذا القول أن الفضاء الروائي هو عالم الرواية الشاسع، الذي تدور فيه الأحداث الروائية والذي يؤطرها و يحتويها جميعا.

وقد بين الباحث "حسن نجمي" هذا المصطلح ويرى: «أن الفضاء الروائي ليس مجرد تقنية أو إطار للفعل الروائي، بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ثم يقر بأن أي إلغاء له إنما هو قمع لهوية الخطاب الروائي»³.
ومنه نستنتج أن الفضاء المدني في الرواية لا يخرج عن هذه الأطر التي حددها الدراسون في حديثهم عن الفضاء السردي .

يمكن القول أن المدينة قد شكلت في الرواية موضوعاً خصباً لا يستهان به ، إذ استطاعت أن تطرق عالمه بمختلف ملامحه و صورته، وقد عمد الروائيون لاتخاذ فضاءها كإطار و مسرح لسيرورة أحداث الرواية لإبراز قيمة المدينة من خلال تصويرها، ليس بطابعها المادي و الهندسي الملموس، و إنما ببعدها الجمالي و الفني وتحولاتها و تأثيراتها في نفوس شخصيات الرواية ، و قد استطاعت الرواية العربية على غرار نظيرتها الغربية مناقشة قضايا

1. حميد حميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، دار البيضاء، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص 64.

2. المرجع نفسه، ص 63.

3. محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، 2005، ص 59، 74 .

المجتمع المعاصر و مجريات واقعه وكشف مشكلاته ، من خلال اتخاذ الحيز المدني و مكوناته كفضاء لها . هذا الفضاء الذي يحمل سمة الاتساع والتنوع فهي أشبه بوعاء فضفاض لطبقات اجتماعية عدة و لأجناس شتى ولثقافات و أشكال و عي متنوعة و متباينة.¹

إذن فالمدينة هي مظهرها من مظاهر الإبداع الإنساني تحمل أبعادا اجتماعية و نفسية وثقافية تميزها عن غيرها من الأفضية ، و لامتلاكها سمة التطور و التحول و التنوع ، اهتم بها الكتّاب و نزحوا للكتابة في إطارها و مواكبة فضائها .

1- علاقة فضاء المدينة بالشخصية:

يرتبط فضاء الرواية المدني بالشخصية لأنه المحيط الذي تتحرك فيه هذه الأخيرة و من خلاله يكشف بيئتها و حركتها و عقيدتها.

يرى "حسين البحراوي" أن الكاتب في تشكيله لهذا الفضاء يسعى دائما لأن يكون بناؤه منتظما و«منسجما مع مزاج و طباع شخصياته وأن لا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأنه من الضروري أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية و المكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها، بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل وقد تسهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها».²

إذن الشخصية عنصر أساسي و محوري في تشكيل سرد الأحداث و رسم فضائها، كما قد يكون لهذا الفضاء دور في تشكيل أبعاد الشخصية و ملامحها، إذن فهناك تلاحم و تأثير متبادل بين كل منهما.

¹ . ينظر: حسين حمودة: الرواية و المدينة (نماذج من كتاب الستينات في مصر)، ص 25.

² . حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009، ص 30.

ويؤكد هذا الكلام "الشريف حبيلة" الذي يرى «أن وجود الإنسان لا يتحقق إلا بعلاقته بالفضاء، وهذه العلاقة بالفضاء، تدفعه إلى أنواع المعرفة لا يقف عند حدودها بل يتجاوزها إلى امتلاك فضاء أرضي يمارس وسطه فعل الحياة يتوطن فيه و يتجذر ويكون لنفسه هوية تمثل كيانه الذي لا يتجزأ منه الفضاء».¹

بمعنى أن هناك علاقة تأثير و تأثير متبادلة بين الفضاء والشخصية فكلاهما يساهم في تحديد الآخر.

إذن هنا نستنتج أن هناك علاقة وطيدة بين الفضاء المدني والشخصية، على غرار باقي الفضاءات التي توظف العمل الروائي، فهما عنصران مترابطان لا يمكن الفصل بينهما.

1. الشريف حبيلة: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ط1، 2005،

2- علاقة فضاء المدينة بالزمن:

هناك ارتباط وثيق بين الفضاء الروائي المدني وزمن أحداث الرواية هذا الفضاء «رباعي الأبعاد، بعده الرابع يكمن في الزمن ؛ فالزمن بحسبانه لذاته "امتدادا زائلا" يتركز في النهاية على الفضاء»¹. إن وجود الفضاء يقتضي بالضرورة وجود الزمن كما أن هذين العنصرين هما من الأساسيات التي يقوم عليهما العمل الروائي «يعينان الرواية أو المرحلة أو العنصر أو الوسط أو المحيط الذي تتحرك به ومن خلاله الشخصيات، فالزمن والمكان يجسدان المناخ الروائي الذي تتنفس فيه الشخصيات»²

إذن فالعلاقة بين هذين المكونين هي علاقة تلاحم وتكامل وتأثر و تأثير بين كل منهما .

1. جوزيف كسينر: شعرة الفضاء الروائي، تر، لحسن أحاممة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2003، ص 21-22.

2. الماضي شكري: فنون النثر العربي الحديث، ص 37.

3- علاقة فضاء المدينة بالحدث:

يعدّ الحدث المحرك الأساسي لكل عمل روائي، إذ يحتاج هذا الأخير أيضاً لفضاء لوقوع الأحداث، فاتخاذ الروائي من الفضاء المدني كحيز لحركة الشخصية، فهو كذلك يتخذ كعنصر أساسي لتشكيل الحدث، حيث يغدو «الفضاء في بعض الأعمال الروائية أداة بنائية و عنصراً تكوينياً أساسياً وفعالاً و حقيقياً ربما بلغ إلى التحكم في الأحداث»¹.

فالحدث هو فعل إجرائي يحتاج بالضرورة إلى فضاء ليتحرك و يجسد عليه.

ومن هنا يتجلى لنا أن لهذا المكون تأثير كبير في مسار الأحداث التي تقوم عليها الرواية، يعمل على تطويرها وتوجيهها نحو الأمام، فهو مرتبط بتسلسل الأحداث وهذا الارتباط يضيف على الرواية انسجامها، إذن فهو أحد العوامل الأساسية و الضرورية التي يقوم عليها الحدث.

في الأخير نستنتج أن هناك علاقة اتصال وتماسك وتكامل بين الفضاء المدني، وعنصر السرد الأخرى، "الشخصية، الزمن، الحدث"، ففي كل عمل روائي تتفاعل هذه المكونات لتشكيل لنا عملاً سردياً متكاملًا، يتخذ من المدينة إطاراً له.

1. جبرار جنيث وآخرون: الفضاء الروائي، تر عبد الرحيم حزا، إفريقيا الشرق، لبنان، ط1، 2000، ص 31.

الفصل الثاني:

حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

تمهيد

أولا: تمثيلات صورة المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا "

ثانيا: التشكيل السردي لصورة المدينة في رواية

" في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا "

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

نالت المدينة اهتمام الكثير من الكتاب الجزائريين، حيث ظهرت ملامحها في رواياتهم من خلال الإشارات الكثيرة إلى شوارعها و أحيائها و أزقتها، فعالجوا حياة شخصياتها التي اختلفت أفكارها واتجاهاتها و تباينت مستوياتها الاجتماعية، وأحلامها و آمالها.

لم يكن ظهور موضوع المدينة في الكتابات الجزائرية مبكراً إذا ما قورن بظهوره في التجربة الروائية العربية، لكنها لم تكن مفصولة عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي، باعتبار أن موضوع المدينة لم ينتج من فراغ.

ارتبطت التجربة الروائية الجزائرية بالواقع الذي يعد الموضوع الأساسي لها، وهو واقع المجتمع والإنسانية جمعاء والذي «يتجسد في حياة الإنسان في بيئته معينة وفي وضعه الاجتماعي بما يطبعه من بؤس و رخاء وعلاقة الإنسان بالأرض، وموقفه من الأنظمة والقوانين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، و أخيراً في مشاعره و أحاسيسه و عواطفه، إنه واقع واسع يشمل مظاهر الوجود الإنساني في مجتمع معين».¹

فالإنسان يتأثر ببيئته و يؤثر فيها من خلال علاقاته مع الآخرين وما يطبع هذه العلاقة من أحاسيس ومشاعر، لأن البيئة و المجتمع الذي ينتمي إليهما الفرد يشكلان عاملين مؤثرين في تشكيل شخصية الفرد و أفكاره و علاقاته، نظراً لما يعيشه من مواقف مختلفة في حياته اليومية.

لقد كان للواقع الجزائري في الفترة التي تلت الاستقلال، والتغيرات التي مست الجانب الاجتماعي والسياسي دور في دفع الكاتب الجزائري إلى تبني مواقف تصور الواقع بكل تفاصيله، سواء كان بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة، التي تشكلت ملامحها وصفاتها من خلال التغيرات التي طرأت على الحياة السياسية والاجتماعية في الجزائر.

«كانت البدايات الأولى للرواية الجزائرية مرتبطة بعالم الريف، فكانت القرية كما في واقع الحياة، المجال المفتوح الموحى بالحرية والفضاء المركزي الخاص للهوية».²

¹. محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص 209.

². أحمد طالب: جماليات المكان في القصة القصيرة، الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، 2005، ص 277.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

وفي فترة السبعينات ساهمت التحولات الاشتراكية في دفع كتاب الرواية خاصة المنحدرين من أصول ريفية إلى الاهتمام بالريف واتخاذ فضاء لراياتهم كرواية "ريح الجنوب" "لعبد الحميد بن هدوقة" سنة 1970، والتي تناولت موضوع القرية الجزائرية وما تعانیه، و أيضا موضوع المرأة الريفية والإقطاع، فجاءت مساندة للواقع السياسي الذي كان يلوح بالآمال الواسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري، ورفع البؤس والشقاء عن الفلاح والوقوف ضد أشكال استغلال الإنسان.

ويبرز أيضا من كتاب هذا الجيل الروائي "الطاهر وطار" من خلال روايته "اللاز" التي تناولت ثورة التحرير الوطني و صراعاتها الداخلية، و لقد كانت القرية مسرحا للأحداث في هذه الرواية، يميزها التخلف و البؤس والأمية.

وبالنسبة لروايته "اللاز" الثانية 1980 فقد كانت امتدادا للرواية الأولى حيث تناولت أزمة التحولات الديمقراطية في جزائر الاستقلال ويذهب "واسيني الأعرج" إلى: «أنهما في الأساس عمل واحد يجسد مرحلتين تاريخيتين في الشكل وفي العمق، ليست إلا مرحلة واحدة ممتدة عبر قنوات تطورها»¹

وقد ساهم هذا الاهتمام الكبير و المكثف بالبيئة الريفية في دفع الروائي "الطاهر وطار" إلى القول في المقدمة التي خص بها رواية "مرزاق بقطاش" طيور في الظهيرة"²، أن الكتابة الروائية قبل صدور هذه الرواية لا يعكس سوى واقع الإنسان الريفي في صراعاته مع الحياة، ولا تتعرض إلا بصورة سطحية للمدينة، حيث صورة هذه الرواية مدينة الجزائر أثناء الاستعمار من خلال حي من أحيائها، فجاءت بعد ذلك رواية الزلزال «التي تصور جانبا كبيرا من تغير الحياة والتي تجسد واقع المدينة و مشاكلها الناتجة عن الهجرة الداخلية، وكانت مدينة قسنطينة بجسورها المعلقة مسرحا لأحداث الرواية»³،

فالقارئ يرى هذه المدينة من خلال تنقلات أشخاصها، وشخصية "بولرواح" فيكشف شوارعها، وجوامعها، و أسواقها، وروائعها المتميزة.

¹. واسيني الأعرج: الطاهر وطار و تجربة الكتاب الواقعية، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1983، ص 60.

². مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981.

³. شادية بن يحيى: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، مجلة الأقلام، الديوان، ع10، 2013، ص 60.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

و بحلول فترة التسعينات أقبلت الرواية الجزائرية على المدينة و على مختلف تضاريسها، وجعلها الروائيين فضاء و مسرحا لكتابتهم الروائية، و «وتحول المكان الذي كان مركزا في المرحلة السابقة "الريف" إلى هامش في المرحلة اللاحقة، و زحفت الأرصفة والجدران الإسمنتية الجديدة و ألفت الرواية نفسها حبيسة المدينة لكنها لهذا السبب أضحت أكثر قدرة على التقاط الجزئي واليومي والهامشي».¹

لقد أصبحت المدينة تحتل مكانا مركزيا حديثا، بينما تشكل القرية مكانا هامشيا ثانويا، لم يعد الريف يتحسد في أغلب الروايات، إلا من خلال الذاكرة واسترجاع السير الذاتية أو عند التعبير عن قضايا ترتبط بالمدينة.

و بحلول فترة الأزمة أو ما يطلق عليه العشرية السوداء، شهدت الساحة الأدبية في هذه الفترة عددا معتبرا من الكتابات الروائية التي كان موضوعها الأزمة و آثارها، فاتخذت رواية الأزمة من واقع المدن ومآسيها موضوعا لها، واستعارت من مشاهد القتل والإرهاب والعنف والاختيالات سماتها، فأنجحت خصوصا رواية دونت الراهن، كل هذه الصور التي خلفها الإرهاب قد مست المثقف والمبدع الجزائري الذي سخر قلمه لتسجيل كل شاردة و واردة مصورا واقع الجزائر آنذاك.

ولو اطلعنا على روايات تلك الفترة: «رواية "الشمعة و الدهاليز" "للطاهر وطار" رواية "سيده المقام لواسيني الأعرج" لوجدناهما يلتقيان في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبتعتها».²

يمكن القول أن المدينة قد كانت مرتعا ومقر العديد من الأحداث والصراعات، لذلك اتخذ الكتاب الروائيين من الفضاء المدني خلفية مكانية ومسرحا لأحداث الرواية.

وتعد رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا" للأدبية والروائية "ياسمينه صالح"، من بين هذه الروايات التي اتخذت من المدينة موضوعا خصبا، وقامت بتوظيفها بشكل فني متميز، ينم عن مدى اتساع ثقافة الأديبة، وعمق تفكيرها، إذ استطاعت أن تطرق عالم المدينة بمختلف صوره و ملامحه، حيث عكست جانب من الجوانب

¹. نجيب العوفي: مقارنة الواقع في القصة القصيرة، المغربية من التأسيس إلى التحنيس، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 568-

569.

². آمنة بعلبي: التخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للنشر و التوزيع، دط، دت، ص 77.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

المرحلة التي مرت بها الدولة الجزائرية و مجتمعا في سنوات التسعينات، فكان الحديث عن المدينة عند "ياسمينه صالح" مظهرا من مظاهر الوعي الاجتماعي والسياسي والثقافي... الخ.

هذا وقد كشفت لنا الرواية من خلال هذه الرواية خفايا و خبايا هذه المدينة، وما تحويه من مشاكل الشباب وخاصة البطالة، والظروف الاجتماعية و المعيشية الصعبة من فقر و تهميش و صراع طبقي بين المجتمع والسلطة، وما يعانيه المثقف في المدينة في سنوات الإرهاب؛ هذه السنوات التي شهدت حوادث قتل مروعة و إراقة للدماء، وكل دلالات القبح والسوداوية التي مرت عليها المدينة إبان العشرية السوداء.

وبهذا تكون الرواية قد وضعت أصبعها على الجرح، بوصفها آلام و أوجاع و آهات مواطنيها الفقراء والمهمشين، الذين لم تبتسم لهم المدينة ولم تكن لطيفة معهم، بل جعلتهم يعانون من الإقصاء و الظلم والحرمان، ولقد جسدت هذا كله من خلال "الخضر"، بطل الرواية، و سرد تفاصيل حياته اليومية المفتوحة على عالم المدينة، وفي علاقاته لمن حوله من الناس. حيث أن الرواية عرضت مختلف التحورات والتحويلات والتغيرات التي تعرضت لها شخصية "الخضر" في مختلف مراحل حياته، وعلاقة ذلك بالفضاء المدني (تأثير فضاء المركز).

أولا: تمثيلات صورة المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا":

إن الفضاء المدني متعدد بتمظهراته المختلفة و تجلياته الاجتماعية و السياسية و الثقافية و العمرانية وهذا ما سنورده فيما يلي:

1. التمثيل العمراني:

إنّ الرواية بناء درامي متكامل، وعالم تتفاعل فيه الشخصيات والأحداث والأماكن، إذ يعد المكان "مسرحا للأحداث"، كما يعد المكان المعماري كمنصة للرواية لا يمكنها أن تقوم بدونه، فقيمته تتجلى في كونه ساحة للتفاعل بين الإنسان والحدث، إن هذا المكان يمكن أن يكون واقعا حقيقيا له بيئته المادية الملموسة والمعروفة في نطاق جغرافي معلوم، أو مكان افتراضي خيالي وغير واقعي، وبالتالي فإن المهم في المدينة الروائية ليس اسمها ولا

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

ملاحظتها ولا التصريح بها ولا الكناية عنها، بقدر ما هو مهم صورة تلك المدينة في سياق الرواية، وما تدعم به توجهات الكاتب في رسم الأحداث والشخصيات، و نسجها في قالب إبداعي¹.

فالمدينة من أهم مظاهر الفضاء الجغرافي بعمرانها و تنظيمها الاجتماعي ، وإحدى جوانب المظهر الحسي الملموس في التجارب الروائية، حيث تقوم بمنح نفسها للخطاب الروائي، وتقوم باستنطاق حواسنا من خلال مظاهرها و ملامحها العمرانية، من منازل، و ساحات و شوارع و أبنية... الخ

وعليه فإن الملاحظ لرواية في المدينة "ما يكفي لتموت سعيدا" أن "ياسمينه صالح"، لم تركز على وصف ملامح المدينة وعمرانها، ورسم أبعادها، بل ذكرت ما يدل عليها بصورة مكثفة في الرواية، يقول السارد: «كان الوقت يسبقهم والمدينة لم تنظف بعد.. قرروا وقتها فصل العاصمة إلى جزأين...»²

وقوله كذلك «ستكون لديك مهمة جديدة تبدأ من يوم السبت في منطقة الشرق (...) التي من المفترض أن تدوم شهرين لتعود بعدها إلى العاصمة...»³.

وفي موضع آخر «عاش في المدينة العميقة ولم يعيش على ضفاف المدينة، حيث الفيلات الفاخرة والشوارع المعبدة والخالية من الحفر والأوساخ»⁴.

من خلال هذه المقاطع نستنتج أن المدينة التي اختارتها الروائية كمقر لأحداثها هي العاصمة، هذا وكما قلنا بالرغم من أنها لم تركز على رسم أبعادها العمرانية، التي تختص بها هذه المدينة دون سواها (القرية، الريف)، نذكر منها:

الميناء، إذ يعد مكانا مهما في الرواية، فمنه انطلقت رحلة "لخضر" السردية.

¹. ينظر: علي عبد الرؤوف: العمارة والمدينة والرواية، تحليل العمران المصري و العربي في الإبداع الروائي المعاصر، 2013.

[https:// www.academia.edu](https://www.academia.edu)

². ياسمينه صالح: "لخضر"، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 106

³. ياسمينه صالح: لخضر، ص 171.

⁴. المصدر، نفسه، ص 215.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

إن الميناء هو إحدى المظاهر العمرانية التي لا نجد لها إلا في المدينة، ولقد ورد ذكره في العديد من المواضع، كون معظم الأحداث في بداية الرواية كانت تدور فيه، «كان والده حمالا في الميناء منذ أن جاء إلى العاصمة بحثا عن لقمة العيش هاربا من قرية أكلها الفقر...»¹

حيث أن والد "لخضر" بطل الرواية انتقل من القرية إلى المدينة بحثا عن عمل يعيله حد الكفاف، فاشتغل حمالا في ميناء المدينة، وهو أيضا المكان الذي انطلق منه "لخضر" في رحلته في عالم الشقاء و البؤس.

إضافة إلى الميناء نجد مظهرًا عمرانيا هو الآخر يوجد في المدينة فقط وهو "المستشفى"، كونه إحدى المرافق الخدمانية العامة و الضرورية التي تختص بها المدينة، ولقد ورد ذكره في الرواية هو كذلك في أكثر من موضع، باعتبار أن بعض الأحداث المهمة دارت فيه.

«...أرسلوه إلى المستشفى بعد ليلة "بيضاء"! أحالوه إلى المستشفى العسكري قبل أن يحولوه إلى المستشفى العام!»².

وقول السارد: «كان المساء خاليا من الكلام عندما تجاوز "لخضر" البوابة الرئيسية للمستشفى...»³.

أيضا لدينا الجامعة والتي هي ربما أكثر هذه المظاهر العمرانية المميزة للمدينة وبالتحديد المدن الكبرى كالعاصمة، وهذا ما وجدناه في الرواية، حيث كانت الجامعة (المركزية) مقر لأهم الأحداث والصراعات في الرواية.

ومن المقاطع الدالة على هذا المظهر العمراني نجد:

يتذكر جيدا أول يوم تقدم فيه الى الجامعة يتسلم عمله...»⁴.

¹ . ياسمينه صالح: لخضر، ص 24.

² . المصدر نفسه، ص 161.

³ . المصدر نفسه، ص 176.

⁴ . المصدر نفسه، ص 142.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

وقول آخر: « لم يشعر بالعجز عن القيام بالعمل منذ التحاقه بالجامعة قبل أربعة أعوام».¹

وفي موضع آخر يقول السارد على لسان أحدهم:

«التقارير التي عندي تقول إن طلبة جامعات أخرى بدؤوا في التعاطف مع طلبة الجامعة المركزية...».²

إضافة إلى الجامعة نجد "السينما" هذا الفضاء الترفيهي، إن صح التعبير، والذي تختص به إلا المدينة فقط، فقد كان "الخضر" يرتاده خلسة بين الفينة والأخرى للهروب من واقعه الأليم، ومن المقاطع الدالة عليها، نجد قول "الخضر": « ما رأيك أن ندخل إلى السينما؟»³، وفي قوله: « نعم...كنت أدخل حين أتحمس لمشاهدة فيلم ما، أتسلق هذا الجدار و أدخل..أجلس في المقعد الخلفي إلى أن يقترب الفيلم من نهايته فأخرج متسللاً...!»⁴.

الشوارع و الأحياء هي الأخرى تعد مساراً شريانياً للمدينة إحدى أهم مظاهر التخطيط العمراني للمدينة، ونستدل على وجودها في الرواية من خلال بعض المقاطع التي سنوردها:

« (...) تحولت الشوارع إلى ساحات يتنافس رؤساء البلديات على تحميلها في وقت قياسي».⁵

كذلك قول السارد « ثم ابتعدت بعيداً بينما! انحدر هو يمين الشارع ليدخل إلى البيت... ».⁶

كذلك لدينا ما يدل على الحي في قوله: « ككل يوم وكل مرة يعود إلى البيت غير أبه بشيء مطأطأ الرأس لثلاً يلمح عيون شباب الحي الذي تعود على عدم الاحتكاك بهم».⁷

¹. ياصمينة صالح: لخضر، ص 146.

². المصدر نفسه، ص 172.

³. المصدر نفسه، ص 58.

⁴. المصدر نفسه، ص 59.

⁵. المصدر نفسه، ص 106.

⁶. المصدر نفسه، ص 48.

⁷. المصدر نفسه .

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

إذن فالشارع والحي والزقاق هو تنظيم عمراني مدني إلى جانب الحدائق العامة، «... كان يرتاد إحدى الحدائق العامة...»¹.

هذا ونجد في المدينة أيضا بعض أشكال العمران التي قلما نجدها في الريف أو القرية، بينما يكثر حضورها في المدينة، مثل المقاهي والمحلات والمطاعم ونستدل عليها من خلال هذه المقاطع: «... واستغرب وهو يرى الكم الهائل من المحلات التي لم يتوقع وجودها هنا، لفت انتباهه مقهى مفتوح على أصوات صاحبة، واستغرب وجود المقهى هنا...»².

وقول السارد: «توقف أمام مطعم دخله و أخذ لنفسه مكانا قريبا من الواجهة المقابلة للشارع...»³.

وفي الأخير نقول أن "الروائية ياسمينة" وان لم تفصح لما عن اسم المدينة ولم تحدد موقعها، إلا إنها اكتفت فقط ببعض الإشارات المقتضبة من خلال سياق السرد، والتي يستطيع القارئ من خلالها أن يدرك أن هذه المدينة هي الجزائر العاصمة، هذا ولم تهتم الروائية بإبراز ووصف معالم المدينة من عمران و أماكن ومرافق، بل اهتمت بنقل ما فيها من مختلف المظاهر الاجتماعية والسياسية والتاريخية، باعتبارها وعاء جمل روى فكرية وإيديولوجية عديدة.

1-2 التمثيل السوسيوثقافي:

1-2-1 الظواهر الاجتماعية

الرواية جزء من السرديات الكبرى التي تقوم بوظيفة تمثيلية للمرجعيات الاجتماعية و الثقافية على اختلافهما، فلا يمكن لهذا السياق أن يكون التمثيل فيه منقطعاً عن هذه المرجعيات.

¹. ياسمينة صالح: لخصر، ص 98.

². المصدر نفسه، ص 19.

³. المصدر نفسه، ص 100.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

والملاحظ لرواية " في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"، يجد أنها قد احتوت على العديد من المظاهر والتفاصيل الاجتماعية والثقافية السلبية السائدة في المدينة، فالكاتبة قد عمدت إلى تعرية الواقع وكشف خباياه، ومن هذه المظاهر نذكر مايلي :

● البطالة:

وهي ظاهرة اجتماعية عانى منها جل شباب المدينة، فالحصول على عمل يشبه المستحيل، نظرا لظروف البلاد في تلك الفترة، ولعل هذا حال "الخضر"، فما هو إلا عينة من هذه الفئة التي أصبحت تشكل عالة على أهاليهم وعلى المدينة وعلى البلاد ككل، يقول والد الخضر: « لكن الشغل غير متاح، أنا أعرف ظروف البلاد أكثر منك، الشغل غير متاح، لو شفت عدد الشباب في سنه وهم يتسكعون في الشوارع بلا عمل».¹

حيث أن محاولة إيجاد فرصة للعمل و وظيفة بسيطة حتى و لو كانت حملا كوالده هي بمثابة الحلم.

« كان يعرف أنه ليس أكثر من ذلك، وأن عليه أن يحمد الله كثيرا لأنه صار موظفا، يعود إلى البيت أمام أعين شباب في سنه يحسدونه في قرارة أنفسهم لأنه صار موظفا، بينما يظنون عاطلين عن العمل..».²

لقد حاولت الروائية تسليط الضوء على هذه الآفة، إن صحت تسميتها بذلك، من خلال "الخضر" هذا النموذج الحي عن شباب المدينة التي أكلها الفقر و التهميش، فما عاناه وعاشه "الخضر" هو تجسيد بواقع جماعي أليم، فالأزمة هي أزمة جماعية.

فلقد أصبح البحث عن عمل هو الشغل الشاغل لأغلب الشباب ناسين حقوقهم وراضحين للأمر الواقع، حتى وإن كان هذا العمل لا يرقى إلى مستواهم و تطلعاتهم.

« يومها رأى "الخضر" الشباب في مثل سنه بيتسمون وهم يشتغلون في تنظيف الشوارع... كانوا سعداء وهم يحملون الزبالة بين يديهم، بالنسبة إليهم كانت تلك التظاهرة فرصة لكسب المال، لا يهمهم نوع العمل

¹. ياسمينه صالح : الخضر، ص 24.

². المصدر نفسه، ص 31.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

الذي يقومون به، لا يهم أن الذي يحمل الزبالة بين يديه لديه شهادة جامعية في الآداب أو في العلوم أو في الاقتصاد... كل ذلك لا يهم حين يرتبط العمل بالمال»¹.

فحتى خريجي الجامعات الذين يعدون عصبة الدولة و عدتها و ركيزتها للمستقبل يعانون من هذه المشكلة، بالرغم من أن شهاداتهم العلمية تسمح لهم بدخول عالم الشغل بدون عراقيل.

• الفقر:

ظاهرة هي الأخرى سادت في المدينة، وهي نتيجة حتمية لظاهرة البطالة، و ضعف الدخل الفردي، الذي لا يسد أبسط احتياجات الإنسان الأولية من مآكل وملبس وعلاج و مستلزمات تعليمية... إلخ فهذا "لخضر" الذي توفيت والدته بسبب الفقر و والده لم يستطع حتى أن يأخذها إلى الطبيب لعجزة عن سد مصاريف العلاج والدواء، يقول:

«أمك تحتاج إلى الدواء والغذاء لثشفى، أين لي بالمال لأشتري لها كل ذلك؟ أين لي بالمال...؟»². فوالده اليأس والفقير حاله كحال أغلب سكان المدينة الغارقين في الفقر المدقع.

هذه الظاهرة التي أدت إلى ظهور آثار سلبية عديدة مست أفراد المجتمع، من بينها عدم قدرة توفير المستلزمات الدراسية وبالتالي تدني المستوى التعليمي وهذا ما حصل مع "لخضر" الذي فشل في دراسته، « فشله فتح هوة سحيقة بينه وبين أبيه الذي اعتبره فاشلا بامتياز، مع أنه والده لم يكن قادرا على مصاريف الكتب والدفاتر التي كان يعايره بفشله فيها»³.

إن عدم قدرة والد "لخضر" على تحمل المسؤولية وأعباء الأسرة دفع به لإخراج "لخضر" من الدراسة والزج به في مجال الشغل، لقد وظفه معه في الميناء كي يساعده في تحمل عبء المصاريف، إذ قال له: « عمك سيكون دعما لنا يجب أن تقف معي لحمل المسؤولية»⁴.

¹. ياسمينه صالح: لخضر، ص 106.

². المصدر نفسه، ص 20.

³. المصدر نفسه ص 19.

⁴. المصدر نفسه، ص 25.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

حيث إن تشغيل طفل ذو السابعة عشر من عمره حملا في ميناء، تعد من أقصى الخروقات التي قد تمارس في حق الطفولة، لكن الظروف التي تمر بها العائلة أجبرته أن يرضخ للأمر الواقع، إذ قيل له ذات مرة: «عليك أن تخب ظن أبيك فيك مرة ثانية، إنه يعتمد على الله ثم عليك لتحمل المسؤولية معه.. لقد صرت رجلا...»¹.

لقد كان كل سكان المدينة يعانون من الفقر، وكانوا يمتنون مهنا بسيطة.

• الهجرة غير شرعية:

هي ظاهرة راجت بين شباب المدينة، مدينة قتلت كل أحلام وطموحات شبابها، الذين وجدوا أنفسهم يعيشون على أعتاب "اللاجدوى" في مدينة قادتهم إلى "اللاخرج"، شباب في ذروة الحرية و العطاء يرون في تعريض أنفسهم للخطر نجاح وهروب، وكأنهم مطاردون أو محكوم عليهم بالسجن مدى الحياة، فالهجرة بالنسبة لهم خلاص وفرج.

يقول السارد: « نعم...! لم يكن سعيدا، فلم يكن ثمة شاب في المدينة وفي مثل سنه يدعى السعادة، كان الجميع يتفق على أن السعادة كذبة قومية. »².

فالهجرة ليست فكرة عبثية، بل تعكس حالة البؤس الناتج عن البطالة والفقر والتهميش وغيرها من الظواهر التي سادت في المدينة، حيث أن الشباب .. « يحملون بفرصة للهرب إلى بلد آخر تمنحهم ما عجزت هذه البلاد عن منحه إليهم، شباب يحملون بالهرب... »³ ويرون فيها حلم وطموح، « هل يمكن لشاب في مثل سنه وأوجاعه الداخلية أن يفشل قبالة ميناء يفتح أمامه ألف باب للحلم، وألف وجهة للرحيل نحو أي مكان بعيد... »⁴.

¹ . ياسمينه صالح:لخضر، ص 29.

² . المصدر نفسه،ص 14.

³ .المصدر نفسه، ص 31.

⁴ . المصدر نفسه ص 29.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

فهذا "لخضر" حاله كحال ربع شباب المدينة، « كانت ثمة فكرة تسيطر عليه بإلحاح سمعها من بعض الشباب الذي يجالسهم أحيانا قليلة في الحي، يتكلمون عنها بالصوت والإصرار نفسه، "الهجرة من البلد!"¹ » لم تكن الهجرة مجرد رحلة إلى بلد ما، بل كانت تعني هربا حقيقيا يمارسه الشباب حين يقررون التسلق على متن السفن الراحلة إلى دول أخرى... بعضهم يرمي بنفسه في البحر تاركا للمد حرية وجهة أقداره، إما الشمال إما الفرق...!² ».

فقد أراد الهرب من الجحيم الذي كان يعيشه، من الفقر والذل والتهميش، من بلد اغتصب الأسياد خيراته، وتركوا شعبه يقف في طابور الحياة و يطارد لقمة العيش.

● ظاهرة النزوح الريفي:

« كان والده حمالا في الميناء منذ أن جاء إلى العاصمة بحثا عن لقمة العيش، هاربا من قرية أكلها الفقر، فإن يعثر على عمل بعد أشهر من وصوله أمر حسده عليه كل الذين جاءوا في القطار نفسه معه».³

تبرز في هذا المقطع ظاهرة هي الأخرى ميزت المدينة آنذاك وهي النزوح الريفي، وان لم تكن الروائية قد أبدتها أهمية كبيرة إلا أنها من الظواهر الاجتماعية التي لا بد من الإشارة إليها، ولقد تجسدت من خلال شخصية والد "لخضر" الذي هرب من الريف لظروفه القاهرة آنذاك باحثا عن فرصة للعمل حاله كحال من جاءوا معه في القطار، أملين في تحسين ظروفهم المعيشية.

وفي الإشارة الأخيرة التي تضمنها النص السابق (كل الذين جاؤوا في القطار نفسه معه)، تجربنا الكاتبة أن والد "لخضر" ليس وحده من عانى من الفقر ومن النزوح الريفي، بل أن حاله كان مثل حال بقية سكان القرية الذين هاجروا معه إلى المدينة بحثا عن لقمة العيش، ولعلمهم هم من عانوا من الفقر والتهميش وصعوبة الاندماج في المدينة.

¹ . ياصمينة صالح: لخضر، ص 24.

² . المصدر نفسه، ص 25.

³ . المصدر نفسه، ص 24.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

● الطبقة والتهميش وغياب العدالة الاجتماعية:

ظاهرة زادت من معاناة أهل المدينة وسوداويتها، فالفقراء والطبقة الكادحة مطرودون من جنة الأغنياء والطبقة الأستقرائية، لقد عانوا من أقصى أنواع الإقصاء والتهميش، ويمكن قراءة هذا الحرمان في عدم القدرة على التمتع بالحقوق التي كفلتها الإنسانية، كالحق في العمل والأجر العادل والصحة والاحترام... وغيرها من الأمور التي طرحتها "ياسمينه صالح" من خلال هذا الوعاء السردي.

ويبرز هذا جليا من خلال هذا المقطع: «لم يجد والده سريرا شاغرا في المستوصف القريب، ولا في المستشفى الذي رفض حالتها "لعدم خطورتها"، كانت عبارة "عدم خطورة الحالة" تعني بالأخص "عدم أهمية المريض!"، ذلك أن عبارة "عدم خطورة المرض" معناها الرفض المباشر لأولئك الذين يمرضون على حساب الدولة؛ فتصبح الدولة مجبرة على الاعتناء بهم بصيغة التأجيل الذي يصبح مع الوقت إهمالا متعمدا لكي يموت كل البؤساء، تلك الميتة التي تحسسهم أنهم يخسرون الحياة لأنهم لم يكن لهم الحق فيها أساسا!». ¹

لقد خسر "لخضر" أخته بسبب التهميش والإهمال، فلا وجود للفقراء في المستشفى؛ أو بالأحرى لا حق للفقراء في العلاج على حساب الدولة، فالفقر من بين المعايير الأساسية في الإقصاء والتهميش.

لقد عانت المدينة من تفاوت طبقي، طبقة تملك كل شيء وطبقة تكدح طوال اليوم لكفاف قوت يومها؛ حتى وإن كان ذلك على حساب كرامتها، بينما أبناء المتنفذين وأصحاب المال والسلطة يعيشون حياة الترف والبذخ، ويمارسون نشاطاتهم بكل أريحية ودون حسيب أو رقيب. ولعل هذا ما وقف عليه "لخضر" أثناء اشتغاله بالميناء، فقد أدرك أن لا سلطة تعلق فوق سلطة المال، وأن الفقراء ما هم إلا عبيد.

«كان لخضر مقتنعا ألا وجود لحرية فوق السلطة، وألا وجود للكرامة فوق المال؛ حتى القانون يتنازل عن حقوقه أمام المال... هل يمكن أن يرفع حمال بائس عينيه في وجه وزير أو ابن وزير بحجة أنه كائن حر؟» ².

¹. ياسمينه صالح: لخضر، ص 22.

². المصدر نفسه، ص 93.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

حتى من هم من المفروض أن يكونوا في خدمة الشعب، ساهرين على راحته وأمنه يستغلون مناصبهم في ممارسة سلطتهم وقمعهم على الضعفاء.

«مشى مترنحا عائدا إلى البيت ليتفاجأ بالضابط ينتظره عند مدخل الحي مع شخصين كانا يرتديان اللباس الرسمي انحال عليه ضربا.. وكان "الخضر" يحمي وجهه بكلتا يديه، وعندما شعر الضابط أن "الخضر" نال ما يستحقه، تركه وسط الطريق يتلوى من الألم... بعض الذين رأوا المشهد بدوا في حالة ذهول كبيرة، لكن لا أحد سيقول أنه رأى ضابط شرطة ينهال بالضرب على شخص ظل يخفي وجهه لتجنب اللكمات».¹

فسلطة الضابط أقوى في هذه المدينة التي غابت عنها العدالة الاجتماعية؛ فكرست مبدأ القوي يأكل الضعيف.

حتى مدير الميناء يشرف بنفسه على عملية تفريغ وشحن البضائع التي يستوردها أولئك الشخصيات المرموقة في البلاد" فلخضر" يعلم أن الموظفين لا يعملون عند الدولة بل عند الأغنياء وأصحاب السلطة لأنهم هم الدولة، هذا ما قاله له مدير الميناء : «عليك أن تستوعب أن في حضور هؤلاء يتحول البسطاء مثلنا إلى لا شيء، لا أقل ولا أكثر».²

فبعد أن داس ابن رجل في الدولة على كرامة "الخضر"؛ وهذا أمام العمال بدون سبب، ألقى اللوم عليه؛ كمن ارتكب جريمة لا تغتفر، فهو مجبر على تحمل مزاج وسادية هؤلاء وغرورهم، الذي يبرره كونهم أشخاصا مهمين، حيث قال والد "الخضر" لابنه: «كيف تجرؤ وتتحدى شخصا مثل ابن الوزير وبذلك الشكل؟ هل جننت؟

- لم أتحداه... !

- بل تحديته، كنت أنظر إليك وأنت تحدد فيه بعينيك ! كيف تجرؤ على النظر إليه بتلك الطريقة !

¹. يامعينة صالح: الخضر، ص 91.

². المصدر نفسه، ص 42.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

- وهل النظر ممنوع؟

- نعم ! علينا أن نغض النظر في وجوه الأسياد لأننا لسنا ندًا لهم»¹.

هذه النظرة الدونية للذات واحتقارها، من السياسات التي غرستها السلطة وأصحاب المال في نفوس الضعفاء والفقراء، وعمدت على تكريسها ، هذا و تبين لنا الروائية من خلال المقطع التالي صورا تدل على عدم الاستواء وغياب العدالة الاجتماعية وتفشي الفروقات الطبقية، إضافة إلى الظلم والفساد اللذين حولا المدينة إلى عالم موحش.

«...واقترب الشرطي يهرول نحوهم... لم يسال عما جرى، اكتفى بالنظر إلى الشاب الوسيم والسيارة الفخمة، ثم نظر إلى "لخضر" بعينين غاضبتين:

-ألا يكفي أنك تجتاز الطريق بهذه الطريقة؟ و تعرقل المرور أيضا؟ جذبه الشرطي بعنف نحو الرصيف ليفسح للشباب الطريق، ثم طلب منه أن يظهر بطاقة هويته، كان لخضر مستغريا وهو يخرج بطاقة هويته و يضعها في يد الشرطي الذي أمسكها بعصبية و بخلق فيها قليلا ثم قال:

-أين تشتغل؟..»²

« أشتغل في مكتب السي فاروق، شقيق الكولونيل فيصل...! »

قالها وهو ينظر إلى الشرطي الذي شحب لونه فجأة...ابتسم الشرطي وهو يقول بصوت لطيف:

-حصل خير يا سيد...حصل خير..! »³

أدرك لخضر أن هذه الحياة غير عادلة، وأن ما ينقص فيها ليس المال ولا الحب ولا شيء بل السلطة؛ أليست السلطة هي من جعلت ابن أحد الضباط يفلت من العقاب بعد أن أودى بحياة عدد من الأطفال الرضع،

¹. ياصمينة صالح: لخضر، ص 41.

².المصدر نفسه، ص 107.

³.المصدر نفسه، ص 108.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

لاستيراده حليب فاسد، و « الصحفي الذي كتب عن الموضوع تمت إقالته من عمله بتهمة التشهير و فبركة أخبار خاطئة وتشويه سمعة الأسياد... »¹

ففي هذا المقطع تتجلى صورة الفساد وغياب العدالة الاجتماعية واستغلال المناصب للوصول إلى مصالح شخصية على حساب البسطاء من عامة الشعب.

هذا وقد تظهرت في الرواية بعض الأنساق الثقافية و الأنتروبولوجية من خلال الممارسات والسلوكيات والأفكار المرتبطة بالحياة اليومية التي رصدناها، خصوصا فيما يتعلق بالحب والزواج وبعض الأفكار والمعتقدات البالية التي سيطرت على عقول بعض الشخصيات، مثل فكرة إنجاب الذكر الذي سيحمي اسم العائلة من الاندثار ويحافظ على ممتلكات العائلة من التبدد على الغرباء، ولعل هذا المعتقد ساد عند السي نوح إذ يقول السارد في هذا المقطع « كان نوح يحب هذا النوع من الشباب، ولا يخفي أنه كان يتمنى أن يرزقه الله بولد يشبه لخضر في كفاحه... قال له بعض الناس: لا تقلق يا سي نوح سيكون لك الولد آجلا أم عاجلا... أنت رجل طيب ولن يخذلك الرحمان أبدا »²

وكان عدم إنجاب الذكور عقاب من الله كونه إنسان سيء « كان يتلقى هذا الكلام كعزاء لا يمكن الوقوف أمامه بأكثر من الصمت (...). فهو يشعر أن الناس سوف يطعمون فيه إن لم ينجب الولد و سيطعمون في بناته لأجل أن يرثوا تلك الدكانة الصغيرة. »³

حتى أن زوجته لم تعارض زواجه من امرأة ثانية من أجل أن ينجب الذكر، فنوح إنسان متمسك بالتقاليد والأعراف و يرى فيها سمعة الإنسان.

هذا إلى جانب معتقد هو الآخر له أثر سلبي على الأولاد، هذا المعتقد البالي الذي حرص الآباء على تلقيه للأبناء، أفكار جعلتهم يقيدون أحلامهم و يضيقون مساحة طموحاتهم، فقط لأنهم يريدون منهم تحمل المسؤولية من الصغر، وحمل أعباء العائلة على أكتافهم، والمقطع التالي يبرز هذا بشكل واضح: « في السابع عشر

¹ . ياسمينه صالح: لخضر،، ص105.

² . المصدر نفسه، ص 51.

³ . المصدر نفسه، ص 51.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

من العمر حلم بدخول كلية الفنون الجميلة، كان يشعر أن لديه موهبة يريد تفجيرها (...). قال له أستاذ العربية ذات يوم وهو يتأمل رسمه على جدار المدرسة: ستكون رساما كبيرا، بل و أفضل من بيكاسو نفسه».¹

كان هذا حلم شاب يافع ساقته الأقدار ليكون سكرتير شخصي للجنرال لخضر، بعد أن قوبل حلمه بالرفض من قبل والده الذي كان يرى فيه عبثا و قلة مسؤولية إذ قال له يومها بصوت غاضب:

« بدل أن تبحث عن عمل تساعدني به على سد مصاريف البيت تريد أ، تدرس الرسم؟ ما هذا العبث؟ »²

كما تطرقت الروائية كذلك إلى قضية أخرى مهمة جدا في المجتمع وهي النظر إلى الحياة من زاوية ضيقة، فتزويج البنات أصبح مهمة صعبة وشاقة تشغل فكر الأولياء أكثر من تعليمهن و ضمان مستقبلهن، فما بالك إذ كانت الفتاة تعاني من إعاقة، فإنها حتما ستشكل عبئا على والديها كالطيب « كان يريد أن يرى ابنته متزوجة قبل أن يغيبه الموت »³ فظروفه الصحية كانت صعبة و يعاني من مرض القلب همه الوحيد كان الاطمئنان على ابنته وتزويجها، لقد خاف عليها أن تظل عانسا، «إذ كان يعي أن ابنته متألمة لأن لا احد طرق بابها، و لان قريناتها تزوجن، أغلب صديقاتها صرن أمهات. فنظرة المجتمع للمرأة المعاقة لا ترحم واعتبارها امرأة ناقصة، في مجتمع يقدس المظاهر بالجواهر، فإعاقتها قد محت كل مظاهر الحسن لديها، هذا ما جعل والدها يفكر أن (...). عريسا في اليد أفضل من عشرة على الشجرة».⁴

لم نستغرب هذه المقولة التي تنم عن مظاهر الرجعية والتخلف الفكري السائد في المجتمعات العربية بقدر استغرابنا من قائلها السي الطيب الرجل المثقف الواعي، أن يفكر بهذه الطريقة، غير أننا نعذر شعور الأبوة لديه فهو ككل أب يرى في تزويج بناته سترًا وأماناً مثله مثل نوح، إذ يقول السارد على لسان أحد الشخصيات « من حسن حظ أنه زوج بناته قبل أن يغيبه الموت».⁵

¹. ياسمينه صالح: لخضر، ص 14.

². المصدر نفسه، ص 15.

³. المصدر نفسه، ص 230.

⁴. المصدر نفسه، ص 194.

⁵. المصدر نفسه، ص 197.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

كذلك المبدأ نفسه نجده عند والد السكرتير جمال « الذي لم يكن يرى في الحياة أكثر من وسيلة ستر للبت والاعتماد على النفس للولد»¹.

فالتخلص من عبء البنات مهمة ليست سهلة بالنسبة له، أما الولد فلا يهم فهو رجل، هذه الفكرة المتخلفة التي سيطرت على عقول المجتمع، « تلك طبيعة أغلب الرجال الذين يعتبرون أولادهم رجالا منذ سن مبكرة، لا يحق لهم في البكاء أو التأفف من سوء الطالع كالبنات! ولا يحق لهم أن يعترفوا بالفشل حتى لو فشلوا، لأن الرجال لا يفشلون!»².

ففكرة اعتبار الأولاد رجال منذ سن صغيرة، وتحميلهم مسؤولية أكبر من طاقتهم، و أكبر من أعمارهم من الأفكار السلبية و الخاطئة التي تقود بالضرر النفسي والجسدي على الأولاد.

1-1-2 الفئات الاجتماعية:

لكل جماعة أوفئة اجتماعية شخصيتها و مميزات النموذجية التي تعبر عن سلوك و صفات أعضائها ومنتسبيها.

هذا وبما أن الرواية قد صورت واقعا اجتماعيا متناقضا، فقد احتوت على فئات اجتماعية متنوعة لعل أبرزها:

● المثقفين:

لقد سجلت النخبة المثقفة وجودها في الرواية بشكل واضح وبارز، وهذا لمكانتهم في المجتمع والمدينة، ودورهم الفكري الذي شكل خطورة على الأنظمة السياسية وعلى الجماعات الإرهابية خصوصا في تلك الفترة العصبية التي مرت عليها البلاد، فضلا عن الضريبة الثمينة التي حصلوا عليها جراء أفكارهم الحرة و مواقفهم الديمقراطية التي لا يقبلون المساومة عليها، هذا وقد حرصت "ياسمينه صالح" على رصد المصير الذي آلت إليه هذه الفئة.

¹. ياسمينه صالح:لخضر،ص 147.

². المصدر نفسه.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

ومن الشخصيات التي تندرج ضمن هذه الفئة نذكر:

- **السي الطيب (مدير الجامعة):** هذا الرجل المنتمي إلى عائلة ثورية يقدر الوطنية أبا عن جد، و يؤمن بمبدأ الحرية والديمقراطية، و يرفض العنف والتسلط، هدفه هو السعي نحو التغيير. إنسان ذو مبادئ فضل العيش بكرامة على أن يخون العهد.

« كانت تلك الإعاقة دليلا آخر على نزاهة المدير الذي رفض أن يمد يده لأحد كي يعيد الحياة إلى رجل ابنته، اختار أن تعيش بشلل على أن يخون كرامته ويمد يده للآخرين، كان يعرف انه لو فعلها سوق يتنازل بعدها عن قناعاته، ولن يتمكن من الحلم بالتغيير الذي يعني أنه سيأتي على أيدي هؤلاء الشباب الراضين للتبعية والذل، ذلك الجيل الذي يدخل إلى الجامعة ليدرس و يغضب و يثور في الوقت نفسه... »¹.

فهو يحمل على عاتقه مسؤولية زرع الوعي في عقول الطلبة حيث: « غالبا ما يحضر بعض الطلبة إلى مكتبة للحديث معهم في أشياء يراها ضرورية لامتناع غضبهم أحيانا ولإثارة غضبهم مما يجري خارج الجامعة في أحيان أخرى.. وهو يعي أنه لا يفعل ذلك انتقاما لشيء أو من أحد، بل لأنه مسؤولا عن وعي هؤلاء الشباب الذين سيتقلد بعضهم مناصبا كبيرا في الدولة... »².

حيث إن منصب سي الطيب كمدير لأهم جامعة جعل منه مستهدفا، والتخلص منه أمر ضروري لأنه يعرقل خططهم و مصالحهم في الجامعة، و بالفعل قد تم التخلص منه بأقل الأضرار وتم إبعاده من الجامعة، فهو لم يكن الهدف الرئيس بل الجامعة، إذ إن «الجامعة هي البوابة الاستراتيجية للمجتمع يا عزيزي، هذا ما قاله سي الباهي "للخضر"، فهو الآخر شخصية يندرج ضمن هذه الفئة و يعي جيدا حقيقة هذا الصراع و مرجعياته... »³

¹. ياسمينه صالح: لخصر، ص182

². المصدر نفسه، ص144

³. المصدر نفسه، ص214.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

- سي الباهي (الصحفي):

كما قلنا هو نموذج آخر للإنسان المثقف الواعي الذي يتخذ من قلمه سلاحا يحارب به الفساد الذي تمكن من الدولة، فهو شأنه شأن سي الطيب، يحلم دوما بالتغيير والحرية و العدالة الاجتماعية والديمقراطية... الخ. فقد كان متفطنا للعبة التي تحاك من قبل النظام والسلطة، و يعلم جيدا خططهما و خفايها، حيث قال ذات مرة للخضر في أحد نقاشاته السياسية المعتادة:

« هذا لأنك لا تعرف ما يعرفه أمثالنا يا بني! الدولة هي المستفيدة ولا استبعد أنها وراء الفتنة الأخيرة لأجل جعل الشعب ينشغل عن مشاكله! عندما يتوقف الشعب عن المطالبة بحقوقه فتلك هي الكارثة»¹.

لقد كان الباهي يشكل خطورة على الدولة والسلطات، لأنه يكتب تقارير صادقة عن الواقع الأمني في البلاد و يبرز تعاون الجهاز الأمني مع الطوائف المتطرفة، « إذ كانت ندواته التي قلت في السنوات الأخيرة مبعث إزعاج حقيقي للسلطات، لأنه كان يخاطب الفئة المثقفة من الشعب قائلا لهم دوركم جاء لتغييروا! وكان يدرك أن هؤلاء الذين يخاطبهم سينهض واحد منهم لأجل التغيير!»²

الباهي الذي يحب وطنه ويفتخر بوطنيته، هذا الثائر الذي استطاع أن يصنع اسما لنفسه جراء مقالاته التي كان ينشرها و ينور بها الرأي العام، فما كان لكم صوتة إلا اغتياله وإبعاده نهائيا من طريقهم، ليكون بذلك عبرة لغيره من الثائرين، فلو أنهم اعتقلوه لكانوا قد فتحوا على أنفسهم بابا من الجدل أكثر مما كانت تثيره مقالاته، ولكن المتأثرون به قد ثاروا وتمردوا أكثر فأكثر.

لقد اغتالوه بأبشع الطرق و أنسبوا الجريمة إلى الجماعات الإرهابية، « يعترف لخضر بينه وبين نفسه أنه تأثر كثيرا عندما علم من أحدهم الطريقة التي تم بها اغتيال الباهي بعد أن اختطفته إحدى الجماعات، و أصدرت بيانا مليئا بآيات القرآنية تتبنى فيه عملية الاختطاف لتبرر طريقة القتل.. قتل الزنادقة والملحدين ! تم العثور على رأسه بعد أسبوع غير بعيد من مقر بيته... وقد كتب على جبهته بدمه: الله أكبر!».

¹. ياسمينه صالح: لخضر، ص 210

². المصدر نفسه، ص 216

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

لم يكن سي الباهي إلا نموذجاً وعينة من هذه الفئة التي راحت ضحية أفكارها و وعيها الإيديولوجي.

- **الطلبة:** وهم أكثر فئة قابلة لتبني التغيير الشامل، وإطلاق حركات تغييرية وإصلاحية، وتبنيهم لأفكار ورؤى سياسية واجتماعية، وهذا ما لاحظناه في هذه الرواية.

« طلبية أصغر منه سناً وأكثرهم طموحاً و رغبة في الوصول إلى التغيير، طلبية جاءوا من ولايات بعيدة وفقيرة، تركوا خلفهم عائلات بائسة و قرية وعدتها الدولة منذ سنوات بالكرامة، ولم يتحقق الوعد، هؤلاء الذين جاءوا من غياهب الفقر كانوا أكثر الناس تحملاً للنجاح»¹، « لأنهم يعرفون أن التغيير الذي يؤمنون به في نقاشاتهم البسيطة، هو الذي سوف يدخل إلى بيوتهم الكهرباء و ينشئ في قراهم النائبة مدرسة وطريقاً معبداً بالأمل»².

● الفئة الحاكمة (السلطة):

هذه الفئة تمثل إحدى مدارات الصراع القائم في المدينة حيث يقبع تحت وطأتها و وجورها الإنسان البسيط، المقهور مادياً واجتماعياً.

هي سلطة فاسدة و مستبدة يحركها أصحاب البدلات الخضراء و الرتب العسكرية، وقد سلطت الروائية الضوء على هذه الفئة التي تلعب دور المؤسسة العسكرية فيها الدور البارز، في تأثيرها على باقي فئات المجتمع ؛ لحيازتها على مواقع صنع القرار واتخاذها، «فإن تكون لديك بطاقة عليها ختم وزارة الدفاع معناه أنك مواطن استثنائي في دولة تقدر كل ما هو مرتبط بالبدلة العسكرية والجزمة الغليظة، التي يلبسها أولئك الذين يملكون الرغبة في إرهاب الآخر من باب إثبات سلطة شخصية أو رسمية..!»³.

هذا وقد فرضت السلطة العسكرية هيمنتها و ايديولوجيتها على المجتمع المدني و صادرت الحكم، باعتمادها أسلوب التهيب والقمع، متخلياً عن دورها الرئيس في حماية أمن واستقلال البلاد والدفاع عن السيادة الوطنية.

¹. ياسمينه صالح: لخصر، ص 145

². المصدر نفسه، ص 146.

³. المصدر نفسه ، ص 15.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

كما عمدت السلطة الحاكمة على طمس المجتمع المدني و عسكرته ؛ فأصبحت المؤسسات المدنية امتداداً للسلطة العسكرية ولا تخرج عن أجندتها السياسية، وهذا ما حاولت الرواية الوصول إليه من خلال إبرازها للدور التخريبي المعتمد من طرف جهات أمنية محسوبة على الدولة، بإنشائها تيارات إسلامية تحت وصاية السلطة، ودسها في الجامعة وبين الطلبة لإثارة البلبلة في الأوضاع الداخلية للبلاد، و التحريض على الشعب والعنف، وهذا من خلال الطالبين الإسلاميين "فريد" و "إبراهيم" .

«كان يدرك أن دوره الذي يكاد ينتهي يعني بداية دور فريد و إبراهيم اللذين سوف توكل إليهما مهمة»¹ «تأجيج الصراع داخل الجامعة، ليتسنى القضاء على فكرة الثورة في عقول هؤلاء الطلبة.»²

لقد حاولت الرواية التركيز على السلطة العسكرية، كونها كما قلنا سابقاً المحرك الخفي للسلطة والمتحكمة في خيوط الدولة و يظهر هذا جلياً في تعمد "ياسمينة صالح" توظيف شخصيات تنتمي إلى السلك العسكري والأمني، كرمز للسلطة المهيمنة، أمثال: ضابط الأمن "جعفر"، الكولونيل "فيصل"، الضابط "كريم"، الضباط الكبار،... الخ.

● فئة الموظفين والعمال:

وهم فئة مسيطر عليها من طرف الحكام و المسؤولين و أرباب العمل، يكدحون باستمرار من أجل لقمة العيش، مغلوب على أمرهم ومهزومين، ضاعوا بين الحرية والظلم وبين الأحلام والأمنيات والواقع، وبين التناقضات و التضاربات.

ولقد تجسدت هذه الفئة في العديد من الشخصيات، الواردة في المتن الروائي، انطلاقاً من "سي عثمان" وابنه "لخضر"، و"العم إبراهيم" و "السي منصور"، هؤلاء العاملين في الميناء الذين تمارس عليهم جل أنواع الإهانة وعدم احترام الذات الإنسانية.

«صعقته الصورة أول اليوم، مع أنه يعرف جيداً نوع عمل والده، إلا أن المشهد هزه جداً.»، فقد كانت أول مرة يرى لخضر والده يحمل كل تلك الحمولة على ظهره، وتساءل لماذا لا يجلبون لهم عربات صغيرة تساعدهم

¹ . ياسمينة صالح:لخضر، ص 185.

² . المصدر نفسه، ص 186.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

في عملية النقل، ليحيله العم "إبراهيم": « إنهم يدلوننا بهذه الطريقة، لن يستوردوا عربات نقل صغيرة لأنهم يضعون ثمنها في جيوبهم.».

لقد كانوا مجبورين على هذا وإلا سينتهي بهم الأمر بطالين، في مدينة شوارعها امتلأت بالعاطلين عن العمل الذين ينتظرون فرصة لاقتناص أي عمل كان، يقول "سي منصور" «أحيانا نشتغل في مكان لا نتوقعه، وأحيانا نشتغل شغلا لا نحبه، إنما نكون مجبورين عليه لا أكثر ولا أقل!»، فالحاجة والعوز هو من جعل هؤلاء يرضون بالذل والإهانة.

ومن أولئك الذين جسدوا هذه الفئة نجد أيضا سكرتير "الخضر" بعد أن صار جنرال، حيث لم يكن راضيا ولا راغبا في العمل في وظيفة جعلت منه أبكم وأخرس، لقد كان يحلم بأن يدخل معهد الفنون الجميلة، وأن يصبح رساما مشهورا. غير أنه اصطدم بواقعه الأليم واضطر لقبول الوظيفة التي أوجدها له والده في الوزارة حتى لا يكون عبثيا في نظر والده وحتى يساعده على مصاريف المنزل، «...وجد نفسه يؤدي عملا روتينيا و مملا أغرقه في عالم من الأوامر التي لم تكن تعنيه، لكنه كان ينفذها عن خوف أشعره من البداية أنه دخل إلى قفص لن يخرج منه.. كان مجرد عامل في خلية من الموظفين الذين يركضون في كل اتجاه في سباق الوقت، لأجل جنرال أو عقيد أو عميد.»¹

● **المرأة:** هي فئة مهمة في المجتمع بل تكاد تكون أهم الفئات، بالرغم من أن الروائية لم تفسح المجال لبروز صوتها في الرواية وقامت بحجب رأيها في هذا الصراع، واقتصر دورها على الحضور فقط دون تدخلها في الأحداث، حيث أنها ارتبطت بشخصية "الخضر" البطل الذي كان هو المهيمن على الحكيم، وهذا لم يكن اعتباطا من الروائية بل يعود إلى خصوصية تلك الفترة التي أقصي فيها صوت المرأة وهمش.

ومع هذا نلاحظ أن الرواية قد وظفت عدة نماذج من شخصية المرأة من بينها، أم "الخضر"، حيث أنها وإن كانت غائبة عن أحداث الرواية إلا أنها كانت حاضرة بقوة في ذاكرة "الخضر" فقد كانت نقيضا مطلقا عن والده، كانت مثال للأُم الحنون على أولادها، أم لم يشبع "الخضر" من حضنها وحنانها، خطفها الموت مبكرا، وهو

¹. يامعينة صاح: الخضر، ص 30.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

في أمس الحاجة إليها، «كان يصدق في وجهها تلك الأكاذيب الصغيرة والجميلة عن الغد والنجاح والفرح والمستقبل...»¹.

أحس "لخضر" بعد موت أمه أن الحياة توقفت و انه لا حاجة له بالغد، فماذا سيفعل وهي غير موجودة، لقد فقد طعم الحياة و «شعر وقتها أنه أصبح يتيما كأشد ما يكون اليتيم جرحا...»².

لقد خلف موتها في نفسيته ألم كبير، صورتها لم تفارق ذاكرته أبدا، «...يتذكرها كما لو أنها ماتت البارحة يتذكر ابتسامتها التي لم تكن تفارقها قط.. نشاطها في البيت يتذكر وجهها الذي كان يعيده إلى البيت كل يوم»³.

تحضر المرأة أيضا في شخصية "نجاة حبيبة لخضر"، ابنة البقال "نوح" و أصغر بناته الثلاث "زهرة" و"سلمى"، زهرة تركت دراستها طواعية بانتظار عريس! (...). بينما ابنته الوسطى "سلمى" كانت أقل حماسة للزواج ربما لأنها كانت تحلم بإكمال دراستها وفشلت (...). بينما الصغرى "نجاة" كانت الأفضل في عينه... صحيح أنها كانت أقل من أختيها في أعمال البيت ولكنها متفوقة في دراستها»⁴

وفي هذا المقطع نلمس أن نجاة كانت نموذج للفتاة الحاملة الطموحة و الجرئة، التي كانت متفوقة في دراستها، تحلم أن تصل إلى المجد و ألا تسير على خطى أختيها اللتين كانتا لا تحفيان غيرتهما منها.⁵

كانت فكرة الزواج مؤجلة بالنسبة لها، «..هي جميلة وتثير لعاب الشباب ومع ذلك لم تشعر بشيء نحو أحد منهم...»⁶.

¹. ياسمينه صالح:لخضر،ص30.

2. المصدر نفسه، ص 20

3. المصدر نفسه، ص 21

4. المصدر نفسه، ص 51

5. المصدر نفسه ، ص52

6. المصدر نفسه، ص 55

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

كانت تتذكر كلمات جدتها المرحومة: «يا نجاة يا ابنتي..هناك عينة من الرجال مثل الكلاب الضالة، وعينة مثل الذئاب وعينة تشعرين أنك بحاجة إلى أن تعيشي معهم طول العمر..! كانت تشعر في قرارة نفسها أن "الخضر" من العينة الرابعة التي لم تذكرها جدتها: الرجال الذين لا يقدمون ولا يؤخرون شيئا!»¹

لقد كانت نجاة تحس نفسها أنها تورطت في تلك العلاقة مع "الخضر" فلم تكن تحس اتجاهه إلا بالشفقة والتعاطف، «عندما ما رأته أول مرة رأته في عينيه شيئا مغايرا، شيئا ثاقبا وقويا وهائجا كعاصفة مؤجلة، وهنا تكتشف أنه يثير الشفقة، وإنها لسبب غامض تشعر بالندم لأنها شجعتة بنظراتها على الاقتراب منها!»²

لقد كانت تعلم أن والدها سيقتلها إذا علم أنها تصادق "حمال ابن حمال" وإنها ستكون محط سخرية أختيها، «...أحيانا ينتابها إحساس يذكرها أن ما تفعله أبعد إلى الجنون، وأقرب من الورطة التي جعلت شابا بائسا يصدق أن ما بينهما عميق ودائم، وقد يسميه: حبا...!»³

غير أن "الخضر" كان صادقا في مشاعره و أول مرة يشعر بطعم الفرح و أن الحظ قد ابتسم له، كان يرى فيها شبها من والدته، هذا ما قاله لها ذات مرة، «هل تعرفين أنني اكتشفت انك تشبهينها في عينيك وابتسامتك؟»⁴

فحب "الخضر" ل"نجاة" كان هياما و حب نجاة كان تضامنا و شفقة، لهذا لم يتطور و بقي أسير الذكرى، وأمنية عصية التحقق، ف"نجاة" تخلت عنه لأنه لا يملك مستقبلا أو بالأحرى لأنه لا يليق بمستواها، قات له: «- كن واقعيًا لخضر..الحياة ليست نزهة..فكر في هذا جيدا...!»⁵

- لو كنت تحبني لفهمت أن وضعنا كله خطأ و علينا أن ننهيه.»⁵

1. يasmine صالح: خضر، ص 55

2. المصدر نفسه، ص 54

3. المصدر نفسه، ص 60

4. المصدر نفسه، ص 57

5. المصدر نفسه، ص 77

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

كانت هذه الكلمات بالنسبة للخضر كطعنات خنجر أصابته به، تفرقت معه لتتزوج من ضابط يليق بها وبعائلتها، ضابط ذو سلطة ووقار و رفعة!

أما "لخضر" فشعر بأن الحلم تبخر والحياة فجأة فقدت طعمها من جديد و «شعر أنه أصبح يتيما من جديد».¹

أما النموذج الثالث الذي صورته لنا ياسمينة، فهو ابنة مدير الجامعة، وزوجة "لخضر" "نجاة"، وقد كانت فتاة عرجاء و غير جميلة، تعاني من إعاقة في قدمها اليسرى، هذه الإعاقة التي أثرت على نفسياتها و جعلتها حزينة ومحطمة و مجروحة في إنسانيتها، يقول السارد على لسان والدها "سي الطيب": «كان يحلم لابنته بشخص طموح، يرفعها إلى الأعلى و يصنع منها إنسانة سعيدة تنسيها إعاقاتها، و تنسيها نظرة الناس إليها، كان يعي أن ابنته متألمة لأن لا أحد طرق بابها، و لأن قريناتها تزوجن، أغلب صديقاتها صرن أمهات، وهي قابعة في زاوية غرفتها تنتظر شخص قد ينظر إلى روحها و ينسى إعاقاتها المزمنة».²

نجاة التي وافقت على الزواج من "لخضر" كي ترضي والدها و تزيح عنه ذلك العبء الذي كان يحس به اتجاهها، رغم معرفتها بأن "لخضر" قد تزوجها شفقة عليها لا أكثر ولا أقل، ولكي يرضي والدها الذي تمنى لها زوجة له فهي «تعرف أنه لم يخترها بقلبه (...) لكنها فكرت أن الأمر قد يتغير، فالحب الحقيقي يأتي بعد الزواج كما قالت أمها لتواسيها».³

أحس "لخضر" بعد ذلك بأنه تورط في طلب يدها وتمنى لو أنها ترفضه، لكنه «فكر أن القدر لم يكن مجحفاً، فقد أعطاه المرأة التي يستحقها شخص مثله، وتلك قسمة عادلة في النهاية».⁴

¹ . ياسمينة صالح: لخضر، ص 88.

² . المصدر نفسه، ص 194.

³ . المصدر نفسه، ص 213.

⁴ . المصدر نفسه، ص 212.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

أما هي فقد «كانت حزينة لأنها كأي فتاة تمت الحب حتى لو امتزج بالشفقة، كانت تريد رجلا يختارها عن رغبتة في مشاركتها الحياة بملوها ومرها، وليس مثل لخضر الذي رأى في زواجه من نجاة تحصيل حاصل أشبه بمهمة وطنية يقوم بها على شرف مبدأ ما»¹.

إن نجاة لم تكن إلا عينة من فئة من النساء المجروحات في كرامتهن وإنسانيتهن، يعانين من نظرة المجتمع الدونية لهن، كونهن خلقن بإعاقه كانت قدرا و نصيبا من الله عز وجل.

1-3- التمثيل السياسي:

في الرواية إحالات عديدة على الجانب السياسي، وذلك باعتبار أن المدينة "العاصمة" هي ملتقى جميع الأطراف السياسية الفاعلة على الساحة، مما يخلق مشهدا متشعبا بالصور ذات الدلالات السياسية، خاصة في تلك الفترة التي عانت فيها المدن من الارتباك والازدواج والصراع بين ما أطلقوا عليه التيار الموالي للإسلاميين، والموالي للسلطة، وقد قدمت لنا الروائية تمثيلا واضحا لما كان يحدث في المدن الجزائرية و تحديدا في العاصمة خلال فترة العشرية السوداء، ومن بين المقاطع التي تحيل على هذا الجانب في الرواية نجد: قول رب العمل لمنصور "موظف في الميناء": «أنت تلعب بالنار يا سي منصور، تذكر أن تقريرا واحدا ضدك إلى الجهات العليا يمكن أن يؤدي إلى إيقافك... ليس من الصعب أن أكتب أنك تمارس السياسة في الميناء...»².

من خلال هذا المقطع نلاحظ أن رب العمل يحاول إسكات منصور وقتل فيه الرغبة في التغيير و بث الوعي في عقول العمال، معتمدا أسلوب التهديد المباشر للوصول إلى مبتغاه .

و في مقطع آخر نجد أن الروائية قد كشفت المستور و أشارت إلى بعض القضايا المسكوت عنها يقول السارد: «سمع ذات مرة أحد العمال القدامى يهمس في حوار عن السياسة أن بعض الضباط يبيعون السلاح إلى مناطق معينة في البلاد، بمجرد بداية انتفاضة مسلحة يتدخل الجيش بالقوة ليستعيد السلاح نفسه...»³

¹ . يامعينة صالح: لخضر، ص 230.

² . المصدر نفسه، ص 71.

³ . المصدر نفسه، ص 112.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

يصور لنا السارد في هذا المقطع العمليات الغير مشروعة ، التي كانت تقوم بها مافيا الدولة ، من تهريب للأسلحة ، والخطط المنسوجة من طرفهم للقيام بهاته العمليات بنجاح، دون الاهتمام بحجم الخسائر البشرية ، وضياح وشتات الشعب الذي كان الضحية الوحيدة المتضررة من كل تلك العمليات، وفي مقطع آخر نجد: «...الدولة هي المستفيدة ولا أستبعد أنها وراء هذه الفتنة الأخيرة لأجل جعل الشعب ينشغل عن مشاكله...!»¹.

يتضح لنا من خلال هذا المقطع أن السلطة الفاسدة (الدولة) هي المسؤول عن الأوضاع السائدة (الفتنة) لتحقيق مصالحها الشخصية، وإتباعها سياسة مدروسة تجعل الشعب يغض البصر و يتخلى عن مطالبته بحقوقه التغيير، والاهتمام والانشغال بالأحداث الدموية التي كانت تحدث يوميا بسبب ما أطلقوا عليه تسمية الإرهاب و الذي زعموا أنه المسؤول الوحيد عن كل ذلك.

وفي مقطع آخر نجد على لسان السارد: «وقد نبهه جمال قبل يومين إلى أن الصدمات بين الإسلاميين والشيوعيين في الجامعة قابلة للتجديد...»²، فتحول الطالب المثير للشغب المحرم «...من طالب جامعي ملتزم في نظر زملائه إلى بطل قومي، مجرد أنه غرس خنجرا في بطن زميله اليساري الملحد الكافر»³.

من خلال هذين المقطعين نلاحظ الصراعات الدائمة بين الطلبة الجامعيين، وهذا بسبب اختلاف فهمهم للدين ، و توجههم السياسي و الحزبي ، لينتهي الأمر بخروج الأمور عن السيطرة من خلال قتل طالب مسلم ملتحي لزميله اليساري الملحد ليزيد الأمر تعقيدا و تأزما في الوسط الجامعي هذا الصراع الذي استغلته الدولة لصالحها من خلال زرع طلبة ملتحين في الوسط الجامعي لإثارة الفتنة بين الطلاب يقول السارد: «كانت تلك أول مرة يرى فيها بخضر طلبة ملتحين يهتفون بكلمات لم يستوعبها جيدا، الصلاة أهم من الرياضة...هل ستنجينا الرياضة من جحيم جهنم يوم لا ينفع مال ولا بنون؟»⁴.

¹ . ياسمينه صالح: لخضر، ص 210.

² . المصدر نفسه، ص 203

³ . المصدر نفسه، ص 205.

⁴ . المصدر نفسه، ص 151.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

و يقول أيضا: « في اليوم التالي صعق عندما رأى طالبين يدخلان إلى الجامعة كما لو أن شيئا لم يكن، كان الطالبان في صدارة التقارير التي أرسلها، وكانا أهم عناصر الانتفاضة التي وقعت في الجامعة ... »¹.
كان هذان الطالبان في مهمة من تخطيط مافيا الدولة التي أرادت ضرب استقرار الجامعة و تنحية مديرها من منصبه.

كما أشارت الروائية إلى الجرائم التي كانت تقوم بها السلطة الفاسدة محاولة هذه الأخيرة من طمس الحقائق ومسح آثار الجريمة يقول السارد: «يتذكر ذات يوم انفجرت فيه قضية حليب الأطفال الفاسد الذي أودى بحياة عدد من الأطفال الرضع... نشرت بعض الصحف الخبر وسرعان ما تم إغلاق الملف...»².

فهم مستعدون لفعل أي شيء ليضمنوا لأنفسهم الاستمرار في الحكم والسيطرة حتى لو كان ذلك على حساب أرواح الآخرين، فطمس الحقائق كان دائما ما يجنبهم الصدام مع الحركات الانتفاضة التي قد تؤدي إلى زعزعة مكائنتهم، كما عمدوا إلى «قتل أكبر عدد من الناس لتطهير البلد من المشتبه فيهم ولو بالخطأ»³.

هذه الجرائم والعمليات يذهب ضحيتها يوميا العشرات من الأبرياء والمدنيين والكثير من الكفاءات الإعلامية والعلمية، ضحايا الصراعات الدموية والتصفيات الجسدية، هو مصير كل معارض لها أو كاشف للفساد الإداري مثل اغتيال الكاتب الصحفي بطريقة بشعة واتهام الجماعات الإسلامية المسلحة بذلك، يقول السارد: «كان الهدف هذه المرة الباهي الذي عاد إلى البلد بعد أن غادرها للمشاركة في ملتقيات دولية حول الحرية والإعلام»⁴.

¹. ياسمينه صالح: لخصر، ص 163.

². المصدر نفسه، ص 104.

³. المصدر نفسه، ص 158.

⁴ المصدر نفسه، ص 249.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

«تأثر كثيرا عندما علم من أحدهم الطريقة التي تم بها اغتيال الباهي بعد أن اختطفته إحدى الجماعات، وأصدرت الأمر بيانا مليئا بالآيات القرآنية تتبنى فيه عملية الاختطاف لتبرر طريقة القتل... قتل الزنادقة والملحدين».¹

هذا هو المرتكز الذي قامت عليه مافيا الدولة للتخلص من المطالبات بالحرية والتغيير، فعملت إلى تكميم الأفواه والأصوات وإسكاتها وخلق أعداء وهميين ومن ثم محاربتهم .

1-4- التمثيل التاريخي:

للجانب التاريخي حظ من الحضور مثل غيره من الجوانب الأخرى الحاضرة في الرواية، فهذه الأخيرة بالرغم من طبيعتها التخيلية إلا أنها لها القدرة على تأييد الأحداث التاريخية والإشارة إليها بين ثناياها، ويتجلى التاريخ في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا" في بعض المقاطع التي تحيل على التاريخ وسنحاول رصد بعضها: «احتضنت البلاد مهرجانا دوليا للرقص بمناسبة عيد الاستقلال... تحولت الشوارع إلى ساحة يتنافس رؤساء البلديات على تحميلها في وقت قياسي».²

في هذا المقطع إحالة إلى تاريخ استقلال الجزائر، ونظرا لأهمية هذا الحدث التاريخي، فإن الدولة تسخر جميع الإمكانيات المادية والمعنوية لتخليد هذا اليوم والاحتفال بهذه الذكرى في نفس اليوم من كل سنة.

وفي مقطع آخر نجد: «... كل البؤساء كانوا فقراء، وكلهم يترحمون دون غيرهم على بطن الوطن الذي أوجب أولئك الشهداء الذين تركوا لهم وطنا...».³

في هذا المقطع إشارة إلى شهداء الثورة الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل الحرية والوطن، كان لهؤلاء الشهداء مكانة لدى أفراد الطبقة الفقيرة الذين أشادوا بتلك البطولات، ولم ينسوا أفضالهم عليهم.

وعلى لسان السارد نجد في مقطع آخر.

¹ . ياصمينة صالح: لخصر، ص 249.

² . المصدر نفسه، ص 106.

³ . المصدر نفسه، ص 19.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

« كان منصور من أسرة ثورية وعريقة، فقد استشهد والده إبان الثورة تاركاً له لقب ابن شهيد...»¹

في هذا المقطع إشارة إلى حدث تاريخي والمتمثل في الثورة الجزائرية، كما أن الأفراد من عائلات ثورية لهم قناعات يتمسكون بها على الدوام، والإيمان المطلق بالحرية و بضرورة المطالبة بالتغيير وعدم الخضوع والانصياع للأوضاع المزرية المفروضة من الآخرين عنوة ، كما أن لهؤلاء الأفراد مكانة وقدرا في الوسط الاجتماعي.

من خلال هذه المقاطع نجد أن ياسمينة صالح قد عمدت إلى توظيف تاريخ الجزائر في المتن الروائي بالرغم من أنها صرحت في بداية الرواية أن أحداث هذه الأخيرة و شخصياتها من نسج الخيال، إذ أنه من الصعب أن يكون الكاتب خيالياً بالمطلق داخل نص روائي يتناول واقع بلد ما، فقد تماهى المتخيل في الواقع و أنصهر كل منهما في الآخر، لكن هذا التوظيف لم يكن بقصد التأريخ لحوادث معينة وقعت بل استعانت بها الروائية في المتن الروائي وسيرورة السرد في الرواية ؛ فهي لم تذكر حوادث تاريخية أو تاريخ وقوعها ، ولا رموز تاريخية مخصصة لهذه المدينة أو هذا البلد .

ثانياً: التشكيل السردى لصورة المدينة في رواية " في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً":

1- التقاطبات المكانية لفضاء المدينة في رواية " في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

يعد المكان من أهم العناصر الأساسية التي يبنى عليها السرد، حيث لا نجد نصاً سردياً خال من المكان ؛ فكل كاتب بحاجة إلى مجموعة مختلفة من الأماكن لتصوير أحداث الرواية وإبراز دور شخصياتها، وبتخصيصنا الحديث عن فضاءات المدينة السردية، فانطلاقاً من طابع التنوع و التأطير الذي تتميز به ، و بوصفه إطاراً تتفاعل فيه العديد من التقاطبات، و الثنائيات الضدية المختلفة في الرواية فهذا النسق من التقاطبات، في سياق تفاعله مع عناصر السرد و مكوناته الفنية الأخرى لم يعد نسقاً مستقلاً عن التركيب الفني العام لبنية الرواية، بل أصبح الجانب الدلالي منه ، يشكل المحور الأساسي الكامن وراء البنية الشكلية واللغوية للنص الروائي، فقد اتخذ سرد المدن عدة أشكال تختلف عن بعضها من حيث المساحة والحجم والصفات والأحداث التي دارت فيها، وتقسّم الأماكن التي يختص بها هذا الفضاء إلى ثنائيات حسب الاتساع والضيق

¹ . ياسمينة صالح: لخصر، ص 249.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

إلى أماكن مغلقة وأخرى مفتوحة وحسب الأثر و الانطباع الذي تركته في نفسية الفرد والى أماكن أليفة وأخرى معادية.

1-1-2 الأماكن المفتوحة: هي أماكن متاحة للجميع، «توحي بالاتساع والتحرر، ولا تخلو من مشاعر الضيق والخوف، وترتبط هذه الأماكن ارتباطاً وثيقاً بالأماكن المغلقة ولعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المفتوح، توافقا مع طبيعته الراغبة في الانطلاق و التحرر، وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح»¹.

يسمح هذا النمط من الأمكنة بالتفاعل والتواصل بين الناس والنمو داخل النص الروائي، ومن الأماكن المفتوحة التي وظفتها ياسمينة صالح في الرواية:

"الشارع ، الحي": اللذان هما جزء لا يتجزأ من المدينة، ومن الأماكن المميزة لها والبارزة فيها، إذ تعد الشوارع «أماكن انتقال ومرور نموذجية تشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها ورواحها عندما تغادر مكان إقامتها وعملها...»².

إذن فالشوارع هي أماكن عمومية تتسم بها المدينة وتتميز، و تشكل حيزا و محلا لحركة الشخصيات و تفاعلها. ففي رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"، نجد أن الروائية قد اتخذت من هذا الفضاء مسرحا لبعض أحداث الرواية، فقد عمدت إلى دفع الشخصية المنتمية إلى الفضاء المدني للخروج من فضاءها البيتي المغلق التي تنعكف فيه وتمكث ، إلى معانقة الفضاء الخارجي الرحب والانجراف نحو تياره التحرري، فقد كان ل"الخضر" فرصة للانتقال من مرحلة الانغلاق إلى مرحلة الانفتاح والتعرف على الخارج يقول أب للخضر «أنت تتسكع في الشوارع منتظرا مني أن أصرف عليك وأنت بهذا الطول المخجل، ليتك تحجل من نفسك ولو مرة واحدة...»³.

كان "الخضر" يسعى للبحث عن الراحة وعن الذات و اختار فضاءه المفضل والمتاح و المتمثل في الشارع دون غيره من الفضاءات الأخرى، التي تندرج ضمن النسق البنائي لفضاء المدينة، وهو حال شباب المدينة الذين

¹ . حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوغاريت، دار رام الله ، ط1، 2007، ص 165.

² . حسين بحرأوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) ، ص 76.

³ . ياسمينة صالح : لخضر، ص 23.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

كانوا يتخذون من الشوارع و الأرصفة مكاناً لقضاء الوقت وتجادب أطراف الحديث كما جعلت الروائية من هذا الفضاء حيزاً وإطاراً يستغل من أجل إقامة الاحتفالات التي كانت الدولة قائمة ومشرفة عليها «...تحولت الشوارع إلى ساحة يتنافس رؤساء البلديات على تحميلها في وقت قياسي»¹.

إذ هذا الاستغلال والاهتمام بالشوارع المدينة ، يرجع إلى طابعها الجغرافي الواسع واعتباره الواجهة الخارجية لفضاء المدينة والمرآة العاكسة لها.

ومن الفضاءات المدينة المفتوحة أيضاً التي استغلتها الروائية ووظفتها في الرواية:

"الميناء": الذي يعد منشأ مدينتها يقام على السواحل أو الشواطئ يتم فيها تحميل وتفريغ ونقل البضائع وتبادل المصالح تكثر فيه المعاملات والعلاقات التجارية على نطاق واسع، جعلت منه الروائية بؤرة توظف كثيراً من الأحداث في الرواية والذي كان أول باب في مجال الشغل فتح لـ "لخضر "

يقول الأب لـ "لخضر": «عندي لك خبر أعتقد أنه سيسعدك...! وجدت لك عملاً معي في الميناء!»².

انتقل "لخضر" للعمل في مكان أكثر اتساعاً "الميناء"، والذي عانى فيه التضيق الشديد، فلم يكن متاحاً أو شاعراً بالسعادة أو الحرية فيه، حيث اعتبر لخضر هذا المكان في بداية الأمر وسيلة لتحقيق الحلم واعتباره درياً سيهيئ له الفرصة لضمان الانتقال من مكان الحرمان إلى أفق العطاء والنماء والهروب من واقعه القاسي والأليم المرتبط بفضاء المدينة، نزوحاً إلى أية بقعة من العالم «هل يمكن لشباب في مثل سنه و أوجاعه الداخلية أن يفشل قبالة ميناء يفتح أمامه ألف باب للحلم، و ألف وجهة للرحيل نحو أي مكان بعيد؟»³.

هذا العمل الذي حسد عليه "لخضر" من طرف أبناء المدينة الذين يفكرون في الهجرة والهروب دون تفكير في الوجهة، باعتباره فرصة ذهبية للخصر لا تعوض هذه الفرصة التي قرر لخضر الاستغناء عنها.

¹ . ياصمينة صالح: لخضر، ص 105.

² . المصدر نفسه، ص 25.

³ . المصدر نفسه، ص 29.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

كان موقف "لخضر" من هذا المكان موقف عدا وكره، خاصة بعد الظلم والجور الذي تعرض له من طرف أصحاب السلطة الفاسدة، يقول السارد: «...فجأة شعر بشيء عنيف يحط على رأسه...مضت دقيقة قبل أن يفهم ما جرى... كان الشاب الأنيق الغاضب واقفا و واضعا حذائه على رأسه...قال له بصوت عصبي حد الهيجان: كأنك تتحداني أيها البائس...!»¹.

كانت القاعدة السائدة والمطبقة في الميناء هي قاعدة القوي يأكل الضعيف وعلى الفرد العامل هناك أن يخضع لوطأة هذه

القاعدة، إذ ترتبط هذه القاعدة بفضاء المدينة ككل، يقول صاحب العمل في حوار مع لخضر: «(...) وإن أردت ألا تجد نفسك في السجن أو الشارع، عليك أن تستوعب أن في حضور هؤلاء يتحول البسطاء أمثالنا إلى لا شيء لا أكثر و لا أقل»². كانت هذه الكلمات تنخر قلب لخضر فبأي حق يمارس عليه كل هذا الاضطهاد من طرف هؤلاء المتغطرسين، لم يكن "لخضر" لهذا المكان سوى العدا والرفض، فقرر أخيرا الانتقال لعمل آخر يضمن له فرصا للحصول على الاستقرار المادي والمعنوي.

وقد عمدت الروائية إلى توظيف فضاء آخر يصنف ضمن الفضاءات المفتوحة ألا وهو:

• المستشفى:

يقصده عامة الناس طلبا للعلاج و التأهيل الجسمي والنفسي، وقد حضر هذا الفضاء في الرواية في عدة مواضع، كان لهذا المكان دور كبير في استعادة لخضر لعافيته وشعوره بالأمان والاطمئنان، فبعد الحادث الذي تعرض له يسأل لخضر الممرضة: «أين أنا؟ في المستشفى (...) ستكون بخير بعد أيام قضيتها بين الحياة والموت...»³.

¹. ياصمينة صالح: لخضر، ص 39.

². المصدر نفسه، ص 42.

³. المصدر نفسه، ص 117.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

شعر "لخضر" وكان فرصة جديدة في الحياة قد منحت له بعد أن فقد شعور بقيمة الحياة، وكان هذا المكان المنطلق الجديد لحياة "لخضر" الجديدة.

«لخضر الذي خرج بعد أسبوع من آخر استجواب، من المستشفى خاليا من الخوف».¹

الذي تخلص منه ومن التوتر و شعور الألفة الذي كان يرتابه و هذه من بين المفارقات التي يمكن أن نلاحظها في فضاء هذه المدينة، وفي انعكاسه على "لخضر"، حيث أن هذا المستشفى المعروف عنه أنه من الأماكن التي تثير في نفسية الإنسان نوعا من الكآبة والقلق و كتلة من المشاعر السلبية كل حسب طبيعته وشخصيته، لكن مع "لخضر" كان عكس ذلك.

كما وظفت الروائية نمطا آخر من الأماكن تحمل سمة الضيق والخصوصية ألا وهي:

1-2-2 الأماكن المغلقة: تحدد هذه الأماكن جغرافيا كمكان العيش والسكن وغيرها، وقد عمدت الروائية إلى توظيف الأماكن المغلقة التي تتميز بها المدينة وتتسم و تقترن هذه الأماكن بعدة انطباعات تتركها في نفسية الفرد، فالعمارة: هي من بين التنظيمات العمرانية المميزة للمدن، فلطالما تميزت هذه الأخيرة بكثرة عماراتها واتخاذ سكان المدينة منها مأوى لهم، كان للعمارة تأثير عميق في نفسية لخضر الذي «...قرر الذهاب إلى دكان نوح مجرد الشعور أنه قادر على رفع عينيه إلى نافذة غرفتها في العمارة...».²

كان هذا المكان يمنح "لخضر" الإحساس بالألفة والسعادة فبمجرد أن يلقي نظرة على نافذة نجاة يحصل على شعور جيد يمنحه الاستقرار النفسي.

ومن بين الأماكن أيضا التي وظفتها الروائية والتي تحمل سمة الانغلاق:

• الجامعة:

التي تعد من الأماكن التي تتراوح بين الإنفتاح و الإنغلاق، لكن في هذه الرواية جاءت ضمن الأماكن المغلقة التي تندرج ضمن البنية التحتية القوية للمدينة فبالرغم من شساعة هذا المكان إلا أنه يعد من الفضاءات

¹. ياسمينه صالح: لخضر ، ص126.

². المصدر نفسه، ص 86.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

المغلقة ذات الخصوصية، فلا يسمح بتواجد عامة الناس فيه بل فقط من هم في مستوى يؤهلهم لذلك، وهذا ما جاء في الرواية من خلال شخصية لخضر الذي تمكن من دخول الجامعة والعمل فيها بعد حصوله على التأهيل العلمي الكامل الذي يخول له ذلك، «يتذكر جيدا أول يوم تقدم فيه إلى الجامعة ليستلم عمله، بدا بائسا وهو يتجاوز البوابة الرئيسية»¹.

كانت الجامعة بالنسبة ل "لخضر" مكانا يوفر له الحماية والأمن والألفة، يمارس فيه عمل بكل أريحية واستطاع لخضر من خلاله أن يحقق حلم الحصول على عمل محترم وأن يرتدي ثوب المثقف المتعلم ولو كان الأمر مجرد تمثيلية خادمة لعمل الجوسسة الموكلة إليه من طرف مافيا الدولة استطاع "لخضر" من خلال عمله وولوجه إلى هذا المكان أن يحصل على الاحترام الذي يساهم في استقرار الجانب النفسي له.

نذكر أيضا من الفضاءات المغلقة التي وظفتها الروائية وجعلتها مسرحا لأحداث:

• البيت:

الذي يعد أكثر الأماكن الخاصة التي تحمل صفة الانغلاق، فهو عالم الإنسان الأول، فمنه تبدأ الحياة وتنطلق، فقد كان لهذا الحيز المكاني نصيب في الرواية، فقد جاء معاديا من خلال نموذج بيت الأب، الذي لم يحمل ل "لخضر" سوى الذكريات الأليمة بداية من وفاة أمه الذي قلب حياته رأسا على عقب، إضافة إلى المعاناة التي لحقت به وعكرت صفو حياته خاصة بعد زواج أبيه من امرأة أخرى ، «...» مسؤوليات والده ازدادت مع مرور الوقت، بعد أن أنجبت زوجته ثلاث أبناء احتلوا مكانه وفرشه ووجوده في البيت»².

تناقص نيل "لخضر" لحقوقه في منزل أبيه وازداد شعوره بالغرابة، والتهميش، فقد ألقى نفسه غريبا مضطهدا في المنزل الذي تربى فيه، هذا الشعور الذي جعله يفكر في الانتقال للعيش في مكان آخر يمنحه الاستقلالية، ففي حوار مع والده يقول: «...» عملي الليلي يجعلني مضطرا إلى البحث عن مكان أنام فيه نهارا!... لو عدت

¹. ياسمينه صالح:لخضر،ص 142.

². المصدر نفسه، ص 22.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

صباحا إلى البيت فلن أستطيع النوم، وعلي أن أبحث عن مكان أنام فيه لاشتغل ليلا!...الحل أن أستقل و أعيش كما أريد...!»¹.

لقد جعل "لخضر" من اشتغاله بعمل ليلي دريعة و سببا للتخلص والهروب من الظلم والجور الذي تكبده وعاناه في هذا المنزل، «كان جسمه الصغير ساحة للمعارك التي تنحرف بين أبيه و زوجته، ولم يكن يعرف كيف يعترض ولا كيف يقاوم»².

ظهر هذا المكان بصورة أخرى في الرواية (صورة المكان الأليف) هذه الألفة التي منحها بيت مدير الجامعة ل"لخضر"، أحس فيه هذا الأخير بالارتياح و الطمأنينة وعده تعويض للحرمان الذي افتقده في منزل والده، لدرجة أنه تمنى لو كان ولدا لهذا المدير «...» كانت حياته ستتغير لو كان "السي الطيب" والده! ربما كان سيواصل دراسته و ينجح و يعمل في أي شركة من الشركات...»³.

كان "لخضر" يرتاد هذا المنزل كلما سمحت له الفرصة بذلك، بل و أحيانا كان يفتعل حججا و أسبابا ليتمكن من ارتياده «ربما كان يبحث عن أب يستقبله بجرارة، و أم تحمل القهوة إليه مبتسمة بصدق ظاهر، و فتاة ترمقه بين الحين والآخر بنظرات لا تخلو من الأسئلة»⁴.

إذن يمكن القول أن حالة الاسترخاء القصوى، و الدفء و الحنان الذي كان هذا المكان يمنحه للخصر هو السبب الذي جعله يرتاده باستمرار دون كلل أو ملل، فقد عوض هذا المكان فقدان الألفة الذي شعر بها لخصر اتجاه بيت والده.

كما تجدر الإشارة إلى بعض الأماكن المغلقة المميزة للمدينة التي وظفتها الروائية في عدة مقاطع من الرواية حتى ولو كان نصيب هذه الأماكن في الظهور أقل من الأماكن السابقة نذكر:

¹ . ياسمينة صالح :لخضر، ص 25 .

² . المصدر نفسه، ص 22.

³ . المصدر نفسه، ص 188.

⁴ . المصدر نفسه، ص 193.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

- المطعم ومحل الأحذية:

لطالما أحس "لخضر" بالجاذبية اتجاه هذه الأماكن كان يجد «فيها شيئاً يشعره بقيمته إزاء ذاته، يدفع النقود لأجل أن يسمع كلمة "سيدي" يحس أنه ملك نفسه فير آبه بشيء أو بأحد...»¹.
لقد كانت كلمة "سيدي" تعني الشيء الكبير والقيم لدى لخضر، يشعر عند سماعها بأنه شخص ذا قيمة وأهمية، إذ ثبت في نفسه الرضا التام «كان يعرف أن عبارة يا سيدي تعني للآخرين ذلك الوقار الذي يريدون تصديقه»².

كان وقعها على أذنه يجعله على يقين أنه وصل إلى الهدف الذي لطالما سعى إليه (صعود سلم السلطة) الذي يجعل منه سيدا محترما في أعين الآخرين، فالمكانة والمرتبة الاجتماعية في نظره أهم من أي شيء حتى المال يغيب قيمته أمامها، كان لهذه الأماكن قدرة كبيرة على استثارة الشعور بالسعادة لديه، هذا السبب الذي جعل من لخضر يرتاد هذه الأماكن مرارا وتكرارا، فقد كانت هذه الأخيرة تمنحه الألفة والإحساس بالغرور والعظمة حتى ولو دفع المال كمقابل لهذا الإحساس فكل الأمور تقاس بالمظاهر في هذه المدينة.

هذه الحملة التي جعلها "لخضر" مبدأ يعتمد عليه و قاعدة يسير عليها في حياته، فانغلاق هذا المكان وخصوصيته وارتباط ارتياده بامتلاك المال جعل منه مكانا ذا قيمة و أهمية كبيرة لدى "لخضر" كيف لا، وهو قد منح الشعور بالألفة والسعادة التي طالما بحث عنها والتمسك في أدنى و أرفع خيط يؤدي إليها.

• مستودع الأسلحة:

سرية هذا المكان أضفى عليه إغلاقه و خصوصيته الكبيرة، ظهر هذا المكان في الرواية تحت حراسة مشددة «... كان المستودع كبيرا محاطا ببعض الرجال المسلحين...»³.

حفاظا على أمن وسلامة تلك السلع "الأسلحة"، و تنمة عملية ادخارها وتسليمها بكل نجاح و كتمان.

¹. ياصمينة صالح:لخضر، ص 100.

². المصدر نفسه ، ص 101.

³. المصدر نفسه، ص 95.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

بث هذا المكان في لخصر شعور الخوف والرهبة خاصة بعد اكتشافه طبيعة السلع المخزنة في المستودع «...» ثم عاد يرفع غطاء الصندوق و ينظر...! (...). شعر أن ريقه جف من هول ما رأى... يا إلهي... سلاح!»¹.

شعر " لخصر " حينها أنه جزء من مؤامرة كبيرة و خطيرة، بث هذا الموقف الرهبة في نفسية " لخصر " واتخذ منه موقف عداء وكره، خاصة وأنه يعلم أن هذه الأسلحة من المؤكد أنها ستوجه لقتل أناس أبرياء دون رحمة أو شفقة، تحول هذا المكان في لرواية إلى فضاء للعبور و نقطة تحول في حياة لخصر حيث فتح له آفاق جديدة وكان أول خطوة يمدّها لصعود سلم الدرجات الذي أوصله إلى هرم السلطة و جعله يتربع على عرشها.

في الأخير نستنتج أن ياسمينه صالح قد عمدت إلى توظيف فضاءات تختص بها المدينة في الرواية لتقدم لنا صورة متكاملة للمدينة، وقد أجدت في التنوع والانتقال بين هذه الفضاءات بيئة مغلقة و أخرى مفتوحة وبين أليفة و أخرى معادية.

2-2 فضاء المدينة والشخصية في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً":

الشخصية على سعيد الكتابة الأدبية والفنية، وتحديد الرواية، تشكل عدة علاقات مع عناصر البناء الروائي، ومن بينها المكان، حيث أن للمكان «علاقة تفاعلية وتبادلية مع الشخصية، و يرتبط المكان بالشخصية ارتباطاً قوياً، فهو قوة فعالة ومؤثرة في سلوك الشخص و أفعالها وممارساتها، بل وحياتها كلها، فالشخصية هي نتاج للبيئة المكانية التي تولد وتنشئ وترعرع فيها»².

وعليه فمن غير الممكن عزل المكان عن الشخصية أو الزمن حتى وإن أردنا دراسته مستقل عن باقي عناصر السرد الأخرى.

إن المكان الروائي يرتبط بالشخصية الروائية والعكس صحيح، حيث أنه يحفز الشخصية و يدفعها للقيام بأفعال وسلوكيات، إذ تظهر آثار المكان في تصرفات وأقوال الشخصية وفي هيئتها الخارجية و نفسياتها الداخلية... إلخ، فتغدو فلسفة المكان و شخصيته طاغية على الشخصية.

¹. ياسمينه صالح : لخصر، ص 110.

². منتهى الحراشة: الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة آل البيت، الأردن، 2000، ص 55.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

حيث أن هذا الترابط بين المكان والشخصية يدل على قوة الحضور المكاني في الشخصية وفق مناخه القاسي أو المعتدل، وفق العادة الطبوغرافية المختلفة، غير أن هذه العلاقة و تأثيراتها في بعض الأحيان تكون ايجابية وفي البعض الآخر سلبية.¹

كما أن المكان في الأغلب هو ما يدل أو نقول يشير إلى البيئة الطبيعية أو الاصطناعية التي تعيش فيها الشخصية الروائية و تمارس وجودها فيها، فالمكان ليس مجرد إطار مكاني وجغرافي، وإنما هو كل ما يحمله هذا المكان من دلالات و تفاصيل تتعلق به و تدخل ضمن إطار علاقته بالشخصية و مكانته داخلها وعلى هذا كان مصطلح الفضاء أعم وأشمل.

هذا وقد كان الفضاء المدني في هذه الرواية له كبير الأثر في شخصية "خضر" بطل الرواية، وفي تكوينه الداخلي، حيث كان لكل مكان من أمكنة المدينة خصوصية، انعكست على "خضر"، إذ أن الروائية لم يكن تركيزها على المدينة لذاتها، بل برز الجانب النفسي والشعور الداخلي للشخصية بهذه الأمكنة، هذا الانعكاس كان سلبياً كسلبية هذه المدينة

لقد لعبت طبيعة المدينة دوراً مهماً كما قلنا في تشكيل مزاج "خضر" النفسي والذهني والفكري، إذ كانت موطناً للصراع السياسي و الطبقي و الاجتماعي من فقر وظلم و تهميش... الخ، وجد "خضر" نفسه مجرد رقماً في هذه المدينة لا غير، هذا ما خلق لديه فراغاً داخلياً رهيباً وشعوراً يوحى بالعبثية والعدم واللا جدوى، يقول السارد: «لم يكن يشعر أنه يحمل عمراً يستحق أن يحتفي به داخل ما كان يحيط به من فراغ مهو... واللا جدوى»²، فقد استمد هذه "السيزيفية" والعبثية من الوسط الذي كان يعيش فيه (المدينة)، فهو الذي عاش طفولة مأساوية، وتيم في سن صغير، وعانى من الفقر وكل أنواع القهر والتسلط من والده الذي لم يستطع تعويض غياب أمه، ومن زوجة أبيه التي عمقت من إحساسه باليتم، فطفولته لم تكن مثل بقية الأطفال في سنه، لقد عانى الحرمان العاطفي والحرمان المادي، كل هذه الأمور ساهمت في تنشئته نشأة غير سوية، أدت به فيما بعد إلى مسالك مظلمة.

¹ ينظر: منتهى الحراشة: الرؤية و البنية في روايات زياد قاسم، ص 55.

² يامسينة صالح: خضر، ص 18.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

لقد كان "الخضر" يعلم أنه لا يمكنه تغيير قدره أو اختيار عائلته أو حياته لهذا «لم يكن يحلم بشيء ملموس.. كان يرى نفسه فاقدًا للطموح..»¹، والمدينة سبب في هذا الإحباط الذي يحس به لما احتوته من صراع بين القيم وبين الذات والسلطة والحرية والعدالة و الكرامة... إلخ و ربما لأنه «في تلك السن اكتشف أنه آيل إلى بؤس فتح له أبواب مواربة كانت تضع في يومياته ثقبًا لا حدود لها، ولا مهرب من التسلسل فيها إلى مزيد من الكبت والجوع!»².

وكان البؤس كان قدر الفقراء ونصيبهم من هذه الحياة ومن هذا الوطن الذي كانوا يحتفون بأمجاده التي سرقها منهم الأغنياء ليصلوا إلى السعادة على أكتافهم.

يقول السارد: «نعم..! لم يكن الجميع يتفق أن السعادة "كذبة قومية" جاهزة لشعار سخيف يكتب على شرف أولئك الذين يعرفون أنهم سعداء، لان التعاسة مرتبطة ببؤس الفقراء فقط»³.

«هذا ما وقف عليه "الخضر" عند اشتغاله حمالًا في الميناء، كان يشعر بالانكسار في داخله لأنه يؤدي عملاً يعيده إلى البيت متعبًا وفارغًا من الفرح..»⁴.

فقد كان يتساءل دائما هل هذه الحياة التي نولد من أجلها؟ وهل هذه الحياة التي يستحقها؟ لقد كان شاهداً بأم عينيه عن الممارسات المشبوهة للأغنياء ورجال السلطة تحت حماية العسكر و الجهاز الأمني للدولة ضارين بالقانون و أنظمتهم عرض الحائط.

«في الميناء... يصغي إلى حكايات الناس وأخبار الوطن... كانت أخبار الوطن تتجسد أمام عينيه على شكل البضائع التي تصل من الخارج بأسماء شخصيات معروفة في البلاد... تعود على رؤية صورهم في الجرائد اليومية، ثم أصبح يراهم بلحمهم وشحمهم وغطرستهم كلما جاءوا شخصياً، بينما مدير الميناء ككل مرة تأتي شخصية مهمة ينزل بنفسه لمباشرة عملية شحن البضائع من المستودعات إلى الشاحنات طالبا من الشخص المهم أن يأتي إلى

¹ . ياسمينة صالح "الخضر"، ص 19.

² . المصدر نفسه، ص 18.

³ . المصدر نفسه، ص 19.

⁴ . المصدر نفسه، ص 35.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

مكتبه ليتناول القهوة(...) و كان رئيس العمال يبدو عصبيا وهو يطلب من العمال السرعة في نقل البضائع خارج المستودعات»¹.

كل هذا لإرضاء هؤلاء المتغطرسين، لقد أدرك "خضر" أن لا سلطة تعلو فوق سلطة المال وأن القانون يتنازل أمام السلطة والمال.

لم يكن لخضر يخفي رغبته في أن يصير مثلهم، لقد كان يكره نفسه لأنها تذكره بعيوبه و بيؤسه وملابسه الرثة و بجذائه المثقوب الذي كان يحاول أن يخفي ثقوبه عن أعين الناس الذين ينظرون إلى حذاءه قبل عينيه، فالحياة لا تهتم إلا بالمظاهر، «فهل يمكن لحمال أن ينتظر احتراما من أحد؟»²، بالتأكيد لا، فهو الذي داس على رأسه وكرامته وكبريائه أحد رموز السلطة المستبدة.

«قالها خضر في نفسه.. هل الحياة معناها أن يظل الحمال حمالا عن حاجة أم عن واجب؟ هو لا يشعر أنه عن واجب لهذا يعرف أنه لن ينهي عمره في هذا المكان القاتم...»³، مكان أثار في نفسه كآبة صنعت في ذاته طريقا معبدا بالضعينة والكراهية لكل شيء.

«لقد كان "خضر" يحلم بالمال والثراء وأن يعامل كسيد محترم...فكر بينه وبين نفسه أنه بحاجة إلى التغيير ليفرض احترام الناس له...»⁴.

كان على الدوام يحلم بالخروج من أزمة الفقر المستعصية، فلا يجد مفرا منها إلا بالأحلام التي كانت تراوده أثناء عمله في الميناء، عندما كانت الشخصيات المهمة تأتي لاستلام بضائعها، «تخيل نفسه مكان الشاب الأنيق المتغطرس»⁵، «وفجأة يتخيل شكله لابساً تلك البذلة الخضراء والنجوم تلمع فوق كتفيه»⁶.

¹. ياسمينه صالح:خضر، ص 32.

². المصدر نفسه، ص 35.

³. المصدر نفسه، ص 38.

⁴. المصدر نفسه، ص 64.

⁵. المصدر نفسه، ص 39.

⁶. المصدر نفسه، ص 63.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

إنّ هذا الحلم الذي غزا فكره وحياله لم يكن من محض الخيال بل هو نتيجة صراعات داخلية ونفسية مر بها ولدت لديه معاناة كبيرة، اكتشف من خلالها أنه في هذه المدينة جوع الشعب سببه تخمة الأغنياء، الذين يرسلون أولادهم خارج البلاد لتغيير الجو والترفيه، بينما أولاد الفقراء يصارعون الزحام في طابور التعاسة أبا عن جد.

لهذا أصابه عمى الانتقام، حيث أن "الخضر" كان يشعر بالنقص وسعى لتعويض نقصه هذا بنشاط وسلوك يظهر شخصيته ومكانته، فالقيم و السلوكيات التي يستملها الفرد من بيئته والاجتماع المحيط به، بالضرورة تجري تعديلا على سلوكه ليتعايش مع هذه البيئة، وهذا بالفعل ما حصل مع "الخضر"، الذي باع إنسانيته وأصبح آلة لخدمة الفساد.

إنّ عمل "الخضر" في المستودع جعله شاهدا على تصرفات رجال العصابات والقتلة الذين هم ليسوا إلا رجال ينتمون إلى السلطة التي تدعي العدل والقانون الأمن، حتى صار واحدا منهم، «كان يريد أن يتغير فعلا ويصبح سيّدا، يلهم أن يجرب الشعور ذاته الذي يشعر به شخص مهم يضع حذاءه على رأس شخص أقل منه ثراء ونفوذًا، هذا الشعور الذي يريده شعور التفوق والتميز والنفوذ، حيث لا قانون فوق قانون القوة ولا سلطة فوق سلطة النفوذ»¹، لهذا كان يغتنم الفرصة تلو الأخرى ليثبت لنفسه أنه ليس بائسا، ومستعد لأداء أي مهمة يكلف بها طالما سيحصل على المال وعلى السلطة، السلطة التي ستصنعه.

لقد أصبح يفكر فقط في إشباع الأنا التي تطالب بالكثير من أجلها، «فكر طويلا وهو يمشي في شارع خال وموحش، شعر أن الأمور بدأت تتعقد بالنسبة إليه، واكتشف أنه تورط للعمق في شيء لم يعد قادرا على استيعابه جيدا فقد تحول مجرد أداة للأذى لا أكثر...»² وبدأت خيوط اللعبة تنكشف أمامه وأصبح يقترب من دائرة أسرار الدولة الخطيرة، وعلاقة رجال الدولة ورموزها الأمنية والعسكرية بما يقع من أحداث دموية راح ضحيتها العديد من الأبرياء.

¹. ياسمينة صالح: خضر، ص 215.

². المصدر نفسه، ص 245.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

لقد صنعوا من "الخضر" ضابطاً يحترف القتل والإرهاب خدمة لمصالحهم، « كان يدرك أن القتل صار مدفوع الثمن والرتب، وأن كل جريمة ناجحة ترفع رصيده وتصنع منه بطلاً استثنائياً في نظر رؤسائه الذين كلما أرادوا مكافأته على إخلاصه رقوه في منصبه؟»¹.

فأخذ يصعد سلم الدرجات والترقيات على حساب الأبرياء، كان يحس أن حياته مرتبطة بموت الآخرين وكل ما يهمه هو الوصول إلى السلطة مها كلفه الثمن، لأنه يعلم أن لا مجال له في هذه المدينة سوى أن يكون مثلهم، لكنه لم يدرك أنه يدمر نفسه قبل أن يدمر الآخرين.

إن اختلال توازن المدينة أثر توازن "الخضر" كذلك، إضافة إلى استباحة الوطن، وقهر وفقر والتهميش والطبقية وانكسار الأحلام، أدت بـ"الخضر" ليكون مفصل من مفاصل الفساد والإرهاب لاحقاً، وإيقاعه في مستنقع الإجرام واللاإنسانية، و الدوس على الآخرين، خصوصاً لعد أن استطاع أن ينفذ إلى الدولة برتبة جنرال.

وفي الأخير نقول أنه قد تتعدى سلطة المكان أكثر مما يبدو على السطح إلى أعماق التكوين النفسي للشخصية، وهذا ما تجلّى بوضوح في الرواية، فالمدينة بكل مركباتها ومكوناتها الفضائية عملت على تكوين الشخصية "الخضر"، الذي اكتملت شخصيته بفضل تنقلاته وتفاعله مع واقع المدينة السائد الذي حول "الخضر" من شخص بائس يقبع في قاع مدن الفقر إلى شخص انتهازي مخادع ذا قيمة في المجتمع.

2-3 المدينة والإيقاع الزمني في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً":

للزمن أهمية كبيرة في حياة الإنسان، حيث أنه «متأصل في خبرتنا اليومية والحياتية، فالحياة زمن والزمن حياة»²، فحياة الإنسان ما هي إلا سلسلة من التحولات والتغيرات والتطورات، هذه كلها تعد زمن، وبالتالي يمكننا القول أن الزمن هو محور حياة الإنسان ووجوده وحقيقته، وجزء لا يتجزأ منه.

أما فيما يخص الزمن الروائي فهو يعد من العناصر الأساسية التي تبنى عليها الرواية، فإلى جانب كونه محور البناء الروائي، و عموده كذلك، ف «إذا كان الأدب يعتبر فناً زمنياً إذا صنفنا الفنون إلى زمنية ومكانية، فإن

¹. ياسمينه صالح: الخضر، ص 263.

². مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 12.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

القصص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن»¹. هذا وباعتبار الرواية هي في حد ذاتها تعبير عن الواقع وعن الحياة فإنها كذلك، «تعبير عن رؤية الروائي تجاه الكون والحياة والإنسان، فإحساس الإنسان بإيقاع الزمن يختلف من عصر إلى عصر تبعاً لاختلاف إيقاع الحياة نفسها»².

ومثلما قلنا عن المكان أنه ليس منعزلاً عن باقي العناصر السردية الأخرى، فإن الزمن هو الآخر لا يمكن عزله عنها، فالشخصية حين تتأثر بمكان ما فإن هذا التأثير لا يمكن حدوثه إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان، وبالتالي فالزمن والمكان متلاصقان ومترابطان وكل واحد منها يكمل الآخر ولا يخرج أو يعزل عنه، إذ «جميع أفعال الناس وانفعالاتهم لا تخرج عن كونها أنماطاً معقدة من الأحداث المكانية والزمنية»³ فهو حيز لكل فعل وبمجال كل تغيير وحركة وتطور، وبواسطته يمكننا النظر إلى رؤى وأبعاد كثيرة ومتنوعة، لارتباطه الوثيق كما قلنا مع الإنسان والواقع وتطورهما المادي والمعنوي والفكري والحضاري والاجتماعي... إلخ و يلعب دوراً هاماً في تهيئة الجو النفسي والاجتماعي والإيديولوجي.

وعليه فإذا كان المكان هو مركز الدراسات لمعرفة خلفيات النص الروائي، فإن الزمن هو الآخر يعد نقطة ارتكاز و السمة التي يبنى عليها العمل الروائي، فبالرغم من أنه حقيقة غير ملموسة، إلا أنه يظهر ما خلال ذلك الأثر و المفعول الذي يمارسه على العناصر البنائية للرواية، فالأحداث والشخصيات تتحرك في إطار مكاني وزمني، فالسرد لا يتم بدون سيولة و حركية الزمن، فإذا ما فقد حركته توقف السرد في نقطة لا يمكن أتستمر، ولهذا فإنه ومن خصوصية الزمن الروائي أنه مرن ومنسب، يتدخل الكاتب في تحريكه حتى يغطي حياة الشخصيات والأحداث بما يناسب العمل الروائي وما يتطلبه، وعليه يعد الزمن بحركته هاته وانسيابه و سرعته وبطئه هو الإيقاع النابض داخل النص⁴، وهذا ما عمدت إليه الروائية "ياسمينه صالح" في هذه الرواية، إذ انطلقت من تشكيل وخصوصية الفضاء المديني؛ إذ نلاحظ توافق وتيرة السرد مع خصوصية هذا الفضاء، فالإيقاع الزمني في الرواية يتسارع تارة ويتباطئ تارة أخرى وفق الأحداث والتحويلات و التطورات الحاصلة في فضاء المدينة و انعكاساتها

¹ عثمان بدري: بناء الشخصية الرئيسة في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 155.

² مها حسن القصراري: الزمن في الرواية العربية، ص 38.

³ زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، دط، دت، ج 1 ص 155.

⁴ ينظر: مها حسن القصراري، الزمن في الرواية العربية، ص 42-43.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

النفسية، لكن على العموم فإن إيقاع الرواية كان سريعاً، وهذا لأن الزمن هو حركة في المكان (المدينة)، «والرابطة بين المكان والزمان هي الحركة أو هي السرعة...»¹، فالمدينة من حيث إيقاعها الزمني تختلف كثيراً عن الريف، هذا الأخير الذي يمتاز بالهدوء، والسكون و الرتابة، أما المدينة فمجدلة الزمن فيها متغيرة و غير ثابتة، و تمتاز بالصخب والحركة والتسارع، فالأحداث تكون فيها متوالية و سريعة التطور.

وبالتالي فإن حياة المدينة تمارس بإيقاع سريع لتنوع جماعاتها والصراع القائم بينهم، إضافة إلى الحراك الجغرافي والاجتماعي المتزايد لسكانها، هذا ما جعلها تتميز بخصوصية أكبر وانغماس في الماديات، والركض وراء تحقيق الطموحات والتحديات المستمرة للوصول إلى أعلى المستويات والمراتب، وهذا خلافاً لعالم الريف المتشاكل في حركته وتطوره، وهذا ما جسده الروائية من خلال شخصية "لخضر" بطل الرواية، في صراعه مع الفضاء المدني، إذ كان تطورها سريعاً، فهو الذي اختار أن يجاري مظاهر الحياة المدنية الراقية كبنية مكانية وزمانية (من الأحداث الواقعة في هذا المكان)، وممارسة عدة أعمال ووظائف لاعتلاء مراتب في الدولة في فترة زمنية وجيزة، حيث اختار ارتداء ثوب المدينة في سباقها مع الزمن لتلحق بركب التطور، الذي مس عدة جوانب وأصبح السمة الأبرز للمدينة، خصوصاً في الجانب العمراني من حيث الشوارع والمباني والحياة المتسارعة، يقول السارد: «استغرب وهو يرى الكم الهائل من المحلات التي لم يتوقع وجودها هنا، لفت انتباهه مقهى مفتوح على أصوات صاحبة واستغرب وجود المقهى هنا»²، وهذا إن دل على شيء فسيدل حتماً كما قلنا سابقاً عن صخب المدينة وإيقاعها الزمني المتسارع، لدرجة أن لخضر بعد غيابة عن حيه لفترة وعودته إليه، استغرب من كم المحلات التي بنيت ولم يتعرف عليه جراء التغيير الحاصل، فهذه طبيعة المدن التي تعد فضاء للحياة بكل متغيراتها ومستجداتها، وليست متاحف يجب المحافظة عليها وعلى تركيبها.

إذن فالزمن في المدينة يمر بسرعة لا متناهية، و لقد ورد في الرواية ما يدل على ذلك في كثير من المواضع والمقاطع، يقول السارد: «ومضى شهر بسرعة غريبة، لم يكن لخضر يجد الوقت للهرب»³.

¹. قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشوي العربي المعاصر، ص 344.

². ياسمينه صالح: لخضر، ص 195.

³. المصدر نفسه، ص 30.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

وفي قوله كذلك: «تسرب الوقت منه ومضت سنة كاملة بسرعة البرق...»¹، وفي موضع آخر يقول السارد: «ها هو يقترب من الثالثة والعشرين من العمر...»²، «كل ما حوله يثير الكتابة كلما تذكر العمر الذي يهرب منه فارغا من الأمنيات»³، ففي هذا المقطع نلاحظ أنه كان تجسيدا لفكرة أن الزمن يقاس و يدرك بواسطته الأمكنة التي يتواجد فيها المرء و إحساسه به يختلف باختلاف الأمكنة، و درجة حبه لها وقربه منها وبالتالي فإن الإيقاع الزمني نفسي و يختلف من شخص لآخر تبعا لدرجة وعيه و ثقافته بهذه الأمكنة، وعليه كان يحس بالكتابة والإحباط والعشبة من هذه المدينة، و أن العمر يسرق منه وهو فارغ من الأمنيات، غير أن الديناميكية والسرعة التي تميز المدينة جعلته ينساق وراءها و يحاول التأقلم معها و التكيف مع إيقاعها التطوري السريع، يقول السارد على لسان لخضر: «هل سيتعرفون عليه الآن لو رأوه في الشارع صدفة لقد تغير كثيرا...»⁴ تغير في نظرتهم إلى المدينة التي كان يكرهها من قبل و صار يتعايش معها...»⁴.

حيث العيش في المدينة هو بمثابة ركوب في قطار الزمن بكل ما فيه من تسارع أو تباطؤ وسير أو توقف، أو أمل و حياة أو لإحباط و كتابة... إلخ .

فالوعي بالزمن أهم ميزة من مميزات الوعي بالأشياء في عصرنا التمدن، «لكنه يعي أن الحكاية بدأت قبل أكثر من ثلاثين سنة خلت، أيام كان للأشياء مسميات مغايرة أو ساذجة»⁵، وقول لخضر: «كم من الماء مرت تحت الجسر منذ خمسة وعشرين سنة»⁶.

1. ياسمينه صالح: لخضر، ص 35.

2. المصدر نفسه، ص 44.

3. المصدر نفسه، ص 46.

4. المصدر نفسه، ص 142.

5. المصدر نفسه، ص 18.

6. المصدر نفسه، ص 16.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

لقد كان لخصر يدرك أن الانتقال من الماضي إلى الحاضر صاحبه تطور كبير، وأن الزمن كان يسير ولم يتوقف لدرجة أن أشياء كثيرة تغيرت مسمياتها و وضعيتها... لدرجة تساؤله: « أيعقل أن الناس تغيروا أيضاً؟ لقد تغير المكان أيضاً؟»¹.

فالكل في المدينة همه مسابقة إيقاع الزمن لتحصيل الماديات وتناسي الروحيات، وهذا ما حصل مع "الخصر" الذي وقع في المحذور و فقد إنسانيته كرد منه على عبثية زمنه و مدينته.

ولهذا فقد وظفت الروائية في سردها بعضاً من تقنيات لتسريع السرد، حيث عملت على سرد الأحداث التي تستغرق زمناً طويلاً في أسطر قليلة أو في جملة أو بضعة كلمات، وهذا باستخدام تقنيات زمنية سردية كالحذف أو الخلاصة، فمثلاً في المقطع التالي الذي يقول فيه لخصر: «وأنا قادم إلى هنا خيل إلي أن البلد الذي تستعيد توازنها، الناس أقل شعوراً بالكارثة مما كانوا عليه من قبل، ولم يكن ليحقق ذلك لو هرب كل الناس في الباخرة، قدر الرجال أن يبقوا حيث يجب عليهم البقاء».²

نلاحظ أن ياسمينة عمدت إلى تقنية الحذف والتي تعني «تكثيف زمني مهمته امتصاص قوة زمنية ليست على قدر من الأهمية».³

والقفز بالأحداث إلى الأمام والقيام بتسريعها، ففي المقطع السابق لم تذكر الروائية تفاصيل الأحداث الدامية التي مرت بها المدينة خلال سنوات القتل والإرهاب واكتفت بالإشارة أو التلميح لما حدث فقط، عودة الاستقرار والأمن للبلاد، ويسمى هذا النوع من الحذف بالحذف الضمني، ونلمسه كذلك في قول السارد: «قلت عمليات الاغتيال التي كانت تطال الجميع حتى الصحف لم تعد تتكلم كما في السابق عن الجماعات المسلحة».⁴ ففي هذا المقطع كذلك اكتفى السارد بالإشارة إلى هدوء الأوضاع واستقرارها، وحذف العوامل والوقائع التي أدت لهذه النتيجة مكتفياً بآثارها فقط.

¹. ياسمينة صالح: لخصر، ص 196.

². المصدر نفسه، ص 313.

³. ميساء سليمان الإبراهيم، البنية السردية في كتاب الامتناع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011، ص 223.

⁴. ياسمينة صالح: لخصر، ص 277.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيداً"

وعليه فالحذف الضمني هو ما «لا تنوب عنه أية إشارة زمنية أو مضمونية وإنما يكون على القارئ أن يهتدي إلى معرفة موضعه باقتفاء أثر الثغرات والانقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني الذي ينظم القصة».¹

أما في الاقتباس التالي نجد أنها وظفت نوع آخر من الحذف وهو الحذف "الصريح" أو "المعلن" والذي يقصد به «الحذف الذي يجد إشارات دالة عليه في ثنايا النص، كأن نقول بعد عشر سنوات خلال الأسبوع».²

يقول السارد عن سكرتير "الخضر" «وبعد سنة من تعيينه سكرتيراً استطاع أن يكسب ثقة الجميع وتعاطفهم».³ وفي موضع آخر يقول عن "الخضر" «أربعة أشهر مضت استطاع أن يستأجر لنفسه غرفة صغيرة بمبلغ زهيد كل شهر».⁴

من خلال هذين المقطعين نلاحظ أن الكاتبة أقصت هذين المدتين من الزمن ولم تقم بذكر الأحداث التي سبقتها، ولربما كان هذا الحذف أو نقول الإسقاط راجع لكون ما حدث في تلك الفترة لم يكن مهماً، أو لا يخدم كثيراً الحكاية.

هذا وقد وظفت الكاتبة كذلك تقنية أخرى من تقنيات تسريع السرد ولا تقل أهمية عن الحذف وقد كانت طاغية على المتن الروائي ألا وهي "الخلاصة" والتي تعني: «أن يقوم الراوي بتلخيص الأحداث الروائية الواقعة في عدة أيام أو شهور أو سنوات في مقاطع معدودات أو في صفحات قليلة دون أن يخوض في ذكر تفاصيل الأشياء أو الأقوال».⁵ ولقد وردت في العديد من المواضع في الرواية نذكر على سبيل المثال قول السارد: «ككل يوم وككل مرة يعود إلى البيت غير آبه بشيء مطأطأ الرأس لثلاثين عاماً يلوح عيون شباب الحي...».

هنا لم يستعرض السارد الأيام التي كان فيها يعود إلى البيت، وما يحدث معه بل اكتفى فقط بتلخيص تلك الأيام بقوله: ككل يوم وككل مرة دون ذكر للتفاصيل.

¹. حسين مجراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي)، ص 154.

². عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردية (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2008، ص 137.

³. ياسمينه صالح: لخضر، ص 14.

⁴. المصدر نفسه، ص 99.

⁵. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 121.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

وفي موضع آخر: «فإن يعثر على عمل بعد عدة أشهر من وصوله أمر حسده عليه كل الذين جاؤوا معه في القطار نفسه»¹، وهنا أيضا قام السارد بتلخيص الشهور التي قضاها والد "الخضر" دون عمل بعد وصوله إلى العاصمة واكتفى باختزالها في جملة واحدة.

أيضا في موقع آخر قام السارد بتوظيف هذه التقنية، يقول: «عاد كما يعود كل يوم جائعا يرتعش من البرد»². وكذلك: «غادر البيت دون كلمة كما يفعل كل يوم»³. وما نلاحظه في هذه المقاطع أن السارد قام بإيجاز الحكيم وعبر الأحداث دون التعرض للتفاصيل.

من خلال هذين التقنيتين نلاحظ أن تقنية "الخلاصة" هي أدنى مستويات السرعة في السرد إذا ما قارناها مع تقنية "الحذف"، إلا أنها قامت بتقليص المساحة النصية في مسار السرد وهذا ما أسهم في تسريع إيقاع الزمن.

لقد كان الفضاء المدني بؤرة لتوالد الأحداث وتحرك الزمن، حيث أنه أخذ دور الشخصيات الفاعلة في النص السردي والمسؤولة عن توالد الأحداث و تغييرها، فالمدينة عوضت هذه الشخصيات وقامت بهذا الدور، عن طريق رصد تنقلات الخضر من مكان إلى مكان، وما صاحب هذا التنقل من تغيرات ومستجدات وتطورات على مستوى الأحداث وعلى مستوى الزمن الذي تميز بالتسارع والديناميكية.

ولأن الإيقاع الزمني للسرد داخل الروائية لا يمكن أن يسير على نسق و ريثم واحد، كان لابد من الروائية تبطئته وتعطيله قليلا وذلك ليتحقق التوازن داخل العمل الروائي، وعليه فقد عمدت إلى بعض من التقنيات لضبط الإيقاع المتسارع للأحداث وتبطئة الحكيم بواسطة تقنية "المشهد"، من خلال "الحوار" حيث يغيب «الراوي ويتقدم الكلام كحوار بين صورتين، وفي مثل هذه الحال، تعادل مدة الزمن على مستوى الوقائع الطول الذي تستغرقه على مستوى القول»⁴.

ومن الأمثلة على هذه التقنية في الرواية نذكر الحوار التالي الذي دار بين والد "الخضر" و زوجته:

¹. ياسمينه صالح: الخضر، ص 24.

². المصدر نفسه، ص 20.

³. المصدر نفسه، ص 25.

⁴. مجنى العيد، تقنيات السرد الروائي (في ضوء المنهج البنوي)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط3، 2010، ص 127.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

«يجب أن تجد حلا لابنك لا يمكن أن يكون عالة على البيت بهذا الشكل!

لكن الشغل غير متاح أنا أعرف ظروف البلاد أكثر منك، الشغل غير متاح، لو شفت عدد الشباب في سنه وهم يتسكعون في الشوارع بلا عمل!

لا يهمني... اما يشتغل أو يرحل!

أفكر في تشغيله معي في الميناء... سأكلمه صباحا ونرى...!»¹

من خلال هذا المقطع نلاحظ أن الروائية ذكرت الحوار بتفاصيله و بدقة متناهية ومملة حتى يبطئ من سرعة الزمن. تقنية أخرى وظفتها ياسمينه وهي "الوقفه" والتي يقصد بها «تلك الوقفات التي يحدثها الراوي في مساره السردى، فيلجأ إلى الوصف لغرض، هو انقطاع الصيرورة الزمنية وتعطيل حركتها»،² أي إفساح المجال للوصف (الأمكنة، الشخصيات..)

وهذا لتوقيف عملية السرد لبعض الوقت.

هذه التقنية التي لاحظناها في عدة محطات من الرواية نذكر منها «...» قالها وهو ينظر إليه نظرة تهديد واضحة وتمنى أن يبتسم ول من باب الاستهزاء المباشر من المدير، لم يرد عليه، أدار له ظهره وغادر المكتب موجهها نظره إلى العمال الذين كانوا يكدحون طولا وعرضا، تنهد بعمق ومضى إلى مكتبه الصغير في زاوية الميناء»³. نلاحظ هنا أن السارد عمد إلى وصف كل ما جرى بين مدير الميناء و رئيس العمال بدقة وبالتفصيل منذ بداية حديثهما إلى نهايته.

وفي مقطع آخر نجد السارد يتحدث عن "الخضر":

¹. ياسمينه صالح: الخضر، ص 24.

². حميد حميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 144.

³. ياسمينه صالح: الخضر، ص 17.

الفصل الثاني حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا"

«لم يخطر ببالي قط أن نجاة سعيدة وهي تنظر إلى خطيبها الوسيم و هو يأخذ مكانه بالقرب منها... كان قوي البنية، فارغ الطول ، واثقا من نفسه و هو ينحني إليها ليقول شيئا عاديا يصيبها بالخجل الذي يروقه...!»¹

في هذا المقطع توقف السارد ليصف خطيب نجاة، فراح يعدد صفاته الخارجية الفسيولوجية وكيفية تعامله مع خطيبته نجاة.

لقد عملت الروائية على كسر خطية الزمن، واجتناب حدوث الرتابة و الملل في سرد الأحداث بوتيرة متسارعة من أول الرواية إلى آخرها ، وهذا باستخدام تقنيتي "المشهد " و"الوقفة". وفي الأخير نقول أن رواية "في الرواية ما يكفي لتموت سعيدا،" عرفت تنوعا في توظيف تقنيات الإيقاع الزمني للسرد ، وهذا لضبطه وجعله موائما مع تحولات الفضاء المديني ، الذي يعرف تحولات مستمرة تراوحت بين التسارع والحركية وبين الرتابة والتباطؤ .

¹ . يامعينة صالح :الخضر، ص 89.

خاتمة

من خلال دراستنا لرواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا" لكاتبها "ياسمينه صالح" تمكنا من الوصول إلى مجموعة من النتائج المتمثلة في :

- ارتبطت المدينة بالرواية ، وازداد هذا الترابط والتماسك عبر الزمن خاصة العصر الحالي، فقد حظيت المدينة باهتمام كبير من طرف كتاب الرواية العرب عامة والجزائريين خاصة، وتأكيد حضورها في امتن الروائي لديهم.

- حاولت "ياسمينه صالح" من خلال هذه الرواية تسليط الضوء على مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر المعاصر، ألا وهي فترة العشرية السوداء؛ تلك الفترة المأساوية المحفورة في ذاكرة الشعب الجزائري خاصة المثقف منهم.

- حاولت الروائية المزج بين الواقع والمنتخيل، لكن من خلال طابع الرواية ومنتها، حدث تماهي للمنتخيل في الواقع لتظهر الرواية لقارئ بصيغة واقعية جدا.

- قدمت لنا الرواية تحت لواء صورة المدينة العاصمة مجموعة من الصور المختلفة، والتي تكشف عن واقعية الرواية:

1. تظهر الصورة العمرانية للمدينة بشك واضح في الرواية، والتي تتبين لنا من خلال انتقال وذهاب وروح الشخصيات عبر الشوارع، وإلى المرافق التي تشكل البنية التحتية للمدينة كالسينما، الجامعة، الميناء... إلخ.

2. يسجل الجانب الاجتماعي والثقافي أيضا في الرواية من خلال بعض الصور السوسيوثقافية التي يتسم بها المجتمع الجزائري، وقد تنوعت هذه الصور وتعددت في الرواية لتقدم تمثيلا واضحا للواقع المعاش.

3. الصورة السياسية التي تتضح جليا في النص الروائي، واتسمت بها العاصمة على غرار غيرها من المدن، باعتبار أن العاصمة مركزا للحكم، فقد اختصرت واقع المدن الأخرى، هذه الصورة التي اتسمت بالارتباك والصراع وعدم الاستقرار والازدواجية.

4. ومن خلال الاطلاع على الرواية، استطعنا أن نصل إلى مجموعة من الصور ذات الصلة بالجانب التاريخي، لكن هذه الصور التاريخية لم تظهر في العمل الروائي بصيغة التأريخ لأحداث معينة، فلم تركز عليها الروائية بل وظفتها فقط خدمة لمسار السرد في الرواية.

- استحوذ فضاء المدينة على متن هذه الرواية، هذا الفضاء الذي كان مرادفا لطبقية ومعادلا لضياح كرامة الإنسان البسيط وحقوقه، هذا الحيز المكاني الذي يتشكل من خلال علاقته بعناصر البناء الفني الأخرى، والتي تتمثل في الشخصية والزمان والمكان بكل جزئياته ومؤثراته.

- للفضاء المدني دور وتأثير كبير في نفسية الشخصية البطلية "الخضر" وتشكيل شخصيته، مما أدى إلى تنامي الحب والرغبة في الوصول إلى السلطة لديه، حتى وإن كان هذا الوصول بطريقة غير شرعية وعلى حساب حياة ومستقبل أفراد آخرين، فالوضع السائد و الأفكار الطاغية على الفضاء المدني كان لها الدور الأساسي في تحول الشخصية إلى فرد انتهازي تطبعه القسوة و اللامبالاة بالآخر .

- احتلت الأماكن الواقعية المدنية حيزا كبيرا في الرواية ، والتي ظهرت من خلال حركة الشخصية وتنقلاتها بعدة أشكال، "أماكن مفتوحة و أخرى مغلقة " باعتبار خصوصية المكان وعموميته ، و "أماكن معادية و أخرى أليفة " باعتبار أثرها في نفسية الشخصية .

- وظفت الروائية الزمن بشكل مميز تجلت جماليته عبر دلالات المدينة ،فالإيقاع الزمني للسرد في الرواية كان سريعا مواكبا للسير الزمني في المدينة ؛ الذي يتميز بالسرعة و الحركة و التطور الدائمين ، كما عمدت الروائية إلى توظيف تقنيات سردية تساهم و تثري هذا التسريع كالحلاصة و الحذف ؛ إذ تسلك الروائية منحى تلخيص للأحداث من خلال الحديث عن وقائع استغرقت وقتا طويلا في فقرة أو فقرات صغيرة .

و في الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا ولو بالقليل في الإحاطة بجوانب هذا الموضوع ، و إعطاء كل جانب منه حقه ، راجين من الله عز وجل التوفيق و السداد .

ملحق

1- السيرة الذاتية "لياسمينة صالح"

ياسمينة صالح من كتاب الرواية الجدد، من جيل الاستقلال الثاني اللذين تزخر بهم الجزائر ، من مواليد 1969 م بالجزائر العاصمة، بالضبط حي بلكور (بلوزداد) العتيق، من أسرة جزائرية مناضلة معروفة ، شارك والدها في الحرب التحريرية واستشهد خالها سنة 1967م في الأراضي الفلسطينية.

خريجة كلية علم النفس بالجزائر العاصمة ، ومتحصلة على دبلوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، التحقت بالتدريس الذي انسحبت منه بعد ذلك للتوجه للعمل في الصحافة الثقافية، عملت كصحفية في جريدة المجاهد، كما أشرفت سنة 2000م على القسم الثقافي في مجلة نسائية جزائرية، بدأت مشوارها الأدبي بالقصة القصيرة، ثم تحولت إلى فن النص الطوي "الرواية" من خلال اصدار روايتها الأولى "بحر الصمت" الحاصلة على جائزة مالك حداد الأدبية لعام 2001م، الصادرة عن دار الآداب ببيروت، ومنشورات الاختلاف في الجزائر، كما صدرت أيضا طبعة جديدة ثانية في القاهرة شهر جويلية 2009م.

أعمالها الأدبية:

- بحر الصمت، رواية صدرت سنة 2001م.
- أحزان امرأة من برج الميزان، قصة طويلة قريبة إلى الرواية سنة 2001م.
- وطن الكلام، مجموعة قصصية سنة 2001م.
- ناستالجيا، ترجمة أدبية لقصص غريبة سنة 2001م.
- ما بعد الكلام، مجموعة قصصية سنة 2003م.
- وطن من زجاج، رواية صدرت سنة 2006م.
- لخضر، رواية صدرت سنة 2010م.¹

1. <https://www.syntanstory.com/y.salehe.html>. 11/06/2022. 17 :22.

2- ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول "لخضر" ذلك الطفل الذي فقد أمه في سن العاشرة من عمره، أثر الإهمال وعدم الرعاية الصحية بعد ولادة أخته، نظرا لظروف العائلة المزرية، فهو ابن حمال في الميناء، فيضطر والده ليتزوج ثانية من امرأة كانت شديدة القسوة عليه وعلى أخته، غير أن الموت عاد مرة أخرى ليفجع "لخضر" في أخته ذات السبع سنوات، كانت هي الأخرى ضحية الإهمال الصحي والأوضاع المزرية للعائلة، ليبقى "لخضر" وحيدا مجددا يصارع ألم الفرق و قسوة الحياة و جبروتها.

من ثم يجبره والده في العمل في الميناء لإعالة عائلته حد الكفاف، بعد أن رزق بثلاث إخوة من زوجة أبيه، هذا العمل الذي تمكن "لخضر" من الحصول عليه بالواسطة.

لقد وافق "لخضر" على العمل حمالا في الميناء ليحقق حلمه بالهجرة و الهروب من هذا البلد كغيره من الشباب، عن طريق سفن وبواخر الميناء التي تقل البضائع والسلع، إذ حاول "لخضر" الهروب من جحيم هذه المدينة التي كان يعيش فيها، و لأول مرة أحس أن الحظ لم يعانده في حلمه، حيث أن قبوله في العمل في الميناء، كان فرصة مقدمة على طبق من ذهب لشاب كان أقصى أحلامه الهروب.

ولتحقيق طموحه اضطر لنيل رضا وإعجاب رئيسه في العمل، فهو يعلم أن استمراره في العمل الذي كان يكرهه، سيمكنه من الهرب في تلك السفن. فراح يعمل ساعات إضافية في الليل، لكن مع مرور الأيام استطاع "لخضر" أن ينسى حلمه و يتراجع عن الفكرة في تحفي حلمه، فكان هذا أول فشل في أحلامه الشخصية.

هذا وقد اعتاد "لخضر" على عمله وأصبح شاهدا على تلك الحركات الغريبة في الميناء وتلك الشخصيات التي تحضر لتستلم بضاعتها، وكيف أن مدير الميناء بنفسه يشرف على العملية، وكيف يعامل أولئك الأشخاص، وكيف يعاملون العمال و الأشخاص الأقل منهم شأنًا، فتمنى لو أنه محلهم و يحظى بمكانتهم، ويعامل كما يعاملون. مل "لخضر" من هذه المعاملة السيئة ومن الاحتقار والتهميش ومن نظرات السخرية و الشفقة له، وعدم اكتراث أبيه له، الذي مارس عليه أشد أنواع القهر و التسلط الأسري، فراح يبحث عن الحب كأقرانه، فدق قلبه "لنجاه" ابنة الحي المجاور، التي تجسدت فيها كل مواصفات فتاة أحلام الشباب بنت ذات مكانة اجتماعية لا بأس بها وعلى قدر من العلم والجمال، أحبها "لخضر"، فكان يغتتم كل فرصة من أجل رؤيتها خلسة، إلى أن

اكتشفت أمره، ووافقت أن تكون حبيبته، لكن أيام معدودة بدأت تحس بالندم من مرافقته، إذ أن "الخضر" ليس من مستواها ولا يليق بها، فهي البنت المتعلمة الطموحة، حلم شباب الحي، أما "الخضر" فماذا؟ حمال ابن حمال، فأخذت تختلق له الأعذار والأسباب كي يتخلى عنها. وعندما علم والده بعلاقته مع "نجاة" راح يمطره بوابل من العبارات المهينة والجارحة، ولم يكتفي بهذا بل أخبر والد "نجاة"، فقرر هذا الأخير تزويجها من ضابط في الشرطة يليق بمقامها ومقام العائلة. ليفشل "الخضر" في الحب مثلما فشل في الهجرة، الأمر الذي جعله يشعر بحزن كبير وإحباط شديد، لكن بصيص أمل لاح له في الأفق، بعد أن استطاع أن يغير عمله من حمال في الميناء إلى حارس ليالي في مستودع لأحد الشخصيات الثرية والمرموقة في المدينة، حيث استطاع أن يهرب من ذلك الحي الذي يذكره بحبيبته وخذلان "نجاة" له، و من سطوة أبيه وقسوة زوجة أبيه، فاستأجر شقة بعيدة عن عائلته، و أخذت حياته تتحسن شيئاً فشيئاً، وتمكن من شراء ما يريد و يأكل ما يريد، ويجلس أينما يريد، كما استطاع أن يسمع كلمة "سيدي" لأول مرة، فأدرك أن النقود تصنع السيادة للمرء.

وبعد مدة من عمله في المستودع أدرك أنه مستودع لأحد "الجنرالات" فأخذ الفضول ليكتشف ما يوجد في المستودع وما تحويه تلك الصناديق التي يحرسها العديد من الحراس بعناية كبيرة، وفي ليلة من الليالي استطاع أن يكشف سر الصناديق وعلم أنها تحتوي على أسلحة، فأحس... و أن عملته من الممكن أن تؤدي به للسجن أو القتل، فاضطر لإطلاق النار على حارسين ثم على نفسه.

نقل "الخضر" إلى المستشفى، و عندما فلق تذكر ما حصل أحس أن الحياة أعطته فرصة أخرى خصوصاً بعد أن عرف أن الحارسين توفيا، فأخذ ينسج الأكاذيب و يؤلف حتى ينقذ حياته، وقد ساعده في ذلك تلك الأحاديث التي كان يسمعها تدور بين الحراس في المستودع، غير أن صاحب المستودع لم يقتنع بكلامه و أحاطه الشك حوله، فقرر نقله إلى مستودع آخر و كلفه بمهمة نقل الأخبار وكل ما يسمعه من الحراس و العمال، وأشخاص معينين، وهذا كان اختبار لمدى وفاء "الخضر" و صدقه، فما كان على "الخضر" إلا المبالغة في سرد التفاصيل و تضخيم الأحداث حتى تصبح مؤامرة خطيرة، فيعجب مسؤوليه بتقاريره، فيحصل على المكافأة والترقية، وفعلاً هذا ما حصل ل"الخضر" حيث أخذ يترقى و يصعد في سلم الدرجات، حتى ساقته تقاريره إلى "الجامعة" و أصبح مساعد سكرتير مدير الجامعة، فأخذ يتقرب من هذا الأخير كي يحصل على معلومات وأخبار هامة، لأن هدفهم التخلص منه، دخل "الخضر" إلى الجامعة بملف مزور نال به ثقة المدير الذي يدعى "سي

الطيب " فأصبح "خضر" مخبر في الجامعة يعمل لصالح عصابات و قتلة ينتمون إلى السلطة، فأخذ يراقب ما يحدث و يدفعه في شكل تقارير لأسياده.

وذات يوم حدثت مظاهرات وعنف في الجامعة، أدت إلى إطلاق النار على أحد رجال الأمن من قبل طالبي هما "فريد" و "إبراهيم"، هذان الطالبان كانا ينتميان إلى التيار الإسلامي، فتم اعتقالهما رفقة مجموعة من الطلبة، إضافة إلى مدير الجامعة، الذي تعرض لنوبة قلبية أدخلته المشفى وأبعدته عن الجامعة، أما الطالبان فقد أطلق سراحهما، ليكتشف "خضر" بعدها أن المظاهرات التي حدثت كان مخططا لها وأن "فريد" و "إبراهيم" من أصحاب السلطة و النفوذ و يشتغلان لصالح الدولة.

لتتطور بعدها علاقة "خضر" ب"سي الطيب"، ووصلت إلى حد طلب يد ابنته العرجاء "نجاة" للزواج، هذا القرار الذي اتخذ "خضر" في لحظة تعاطف، أحس بعدها بالتسرع، لكنه واصل في قراره و تزوجها، في فرصة له لمواصلة التحسس على المدير. وعلى قريبه الصحفي "الباهي"، هذا الشخص الذي وقف في وجه السلطة الفاسدة.

ومع مرور الأيام و الأشهر تعرضت المدينة إلى أحداث مأساوية من قتل و دمار، راح ضحيتها العديد من الأبرياء، من بينهم "سي الباهي" الذي اغتيل لطريقة بشعة و ألصقت التهمة في التيار الإرهابي المتطرف، هذا ما أدى إلى شلل "السي الطيب".

أما "نجاة" فقد توفيت أثناء ولادة ابنها، فقرر "خضر" ترك ابنه "السي الطيب" لكي يبعده عن عالم الإجرام وعمليات الاغتيال التي كان يقوم بها، إذ أصبح يحترف القتل كضابط في هذه العصابة، وهكذا توالى الأحداث وتوالى معها الترقيات إلى أن وصل إلى هرم السلطة، و أصبح جنرالاً، لكن هذا لم يشعره بالذنب لارتكابه تلك الجرائم، بل أحس أنه كان عليه أن يفعل ذلك حتى يصل إلى ما هو عليه.

هذا وقد استطاع "خضر" بمنصبه الجديد أن يثبت للجميع أنه الأنسب للسلطة، كما استطاع أن يكسب احترام الجميع، خصوصاً مع تحسن الأوضاع الأمنية في البلد وعودة السلم من جديد، كما استطاع أن يلتقي بابنه "حسين" بعد فراق دام 26 عاماً، عندما اكتشف أن ابنه ضابط عنده، وأنه يجب وطنه و مستعد للتضحية من أجله.

تمنى "الخضر" وقتها لو استطاع أن يخبره بأنه هو والده، و أن والده لم يميت، لكنه لم يستطع، إذ أنه بماذا كان سيخبره لما يسأله أين كنت؟ ولماذا تركتني وحيدا كل تلك السنوات؟

أخذ "الخضر" يتعرف على ابنه تدريجيا، و نجح في كسب حبه و ثقته، كما انه استطاع أن يعرف حياته الشخصية، و تعرف على خطيبته "حياة"، ويا لها من صدفة و ياله من قدر، حياة هي ابنة حبه الأول "نجاة" التي تركته من أجل ضابط في الشرطة، تمنى " الخضر " لو أنه استطاع أن يقول لها انظري إلى ذلك الشاب البائس كيف أصبح و أين أصلح، لكن "نجاة" لم تستطع التعرف عليه، فقرر "الخضر" كتابة رسالة يعترف بها "حسين" بالحقيقة كاملة، شرط أن يتسلمها بعد وفاته.

لكن ذات يوم تعرض "حسين" لهجوم إرهابي نقل على إثره المستشفى، مما جعل "الخضر" يشعر بالخوف من فقدان ابنه قبل أن يعرف الحقيقة، فكان يزوره كل يوم و يهتم له و يطمئن على صحته هو بنفسه، هذا ما أذهل "نجاة"، فكيف لجنرال أن يعامل ضابط بسيط هكذا معاملة.

فدار حديث بينهما في المستشفى لساعات متأخرة من الليل اكتشفت على إثرها حقيقة "الخضر" من يكون فصعقت للأمر و أجهشت بالبكاء وغادرت لغرفة ابنتها، قبل أن تعود إليه مجددا لإكمال الحديث، فراح "الخضر" يسألها لماذا تخلت عنه ولماذا تركته؟ فتارة تقول له القدر الذي فرق بينهما، وتارة تقول له أن ابتعادها هو سبب نجاحه، ورغم أنهما لم يتزوجا إلا أنهما تركا المجال لأبنائهما للزواج والحب الصادق الذي لم يستطيعا تحقيقه.

بعد تفكير عميق تقبل "الخضر" الأمر الواقع، فلو تزوج بها لما رزق ببن رائع مثل "حسين" الذي استطاع أن يغيره، و يغير نظرتة للحياة.

قرر أن يخبره بالحقيقة بعد أن يتعافى و أن يزوجه بحياة و يكون أبا مثاليا له، و يعوضه عن كل السنين التي عاشها بدونه.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- ياسمينه صالح، رواية لخضر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

المراجع:

• المراجع العربية:

1. إبراهيم رماني: أسئلة الكتابة النقدية، (قراءة في الأدب الجزائري الحديث)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، دط، دت.

2. أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، ط2، 1965.

3. أحمد طالب: جماليات المكان في القصة القصيرة، الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، 2005.

4. آمنة بعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للنشر و التوزيع، دط، دت.

5. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

6. باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2008.

7. بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

8. حاتم النقاطي: مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 1995.
9. حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009.
10. حسين حمودة: الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينات في مصر)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، 2000.
11. حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أوغاريت، دار رام الله، ط1، 2007.
12. حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991.
13. حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، دار البيضاء، بيروت، لبنان، ط3، 2006.
14. حميد لعيمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000.
15. رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، 1984.
16. رولان بورنوف و ريبال أونليه: عالم الرواية، ترنهاد التركي، مراجعة فؤاد الركلي و محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991.
17. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، دط، دت، ج 1.
18. زهير محمود عبيدات: صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، دار الكندي، اربد، الأردن، 2007.
19. سلامة موسى: أحلام الفلاسفة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 14.

20. سليم بثقة: تريف السرد الروائي الجزائري، دار الحمد للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1.
21. السيد عبد العاطي سيد: علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2003، ج1، ص 313.
22. سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، منشورات الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، 1988.
23. الشريف حبيلة: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت ط1، 2005.
24. الشريف حبيلة: الرواية والعنف(دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عام الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2010.
25. صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2010.
26. طارق ثابت: الشخصية المدنية في شعر الطيب معاشي(مقاربات سيميائية)، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009.
27. عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية (الصور و الدلالة)، دار حمود علي للنشر تونس، ط1.
28. عبد القادر بوعرفة: المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروي في السياسة لابن رشيد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2013.
29. عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009.

30. عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص و الرؤى والدلالة، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط1، 1990
31. عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986.
32. عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
33. عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2008.
34. قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات الكتاب العرب، دمشق، 2001.
35. ماجدة حمود: صورة الأخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
36. الماضي شكري: فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، 1966.
37. محمد إبراهيم حور: الحنين للوطن في الشعر العربي، دن، دط، دت.
38. محمد حسين عبد الله: الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، 1989.
39. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق ، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 9.
40. محمد عاطف غيث: علم الاجتماع الحضري، مدخل المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1955، ص 12.
41. محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، 2005.
42. محمد مصاييف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984.

43. محمود أحمد عبد الغفار: صورة المدينة في الشعر العربي الحديث في مصر، المرحلة الكلاسيكية، 12، N2، 2007، N09، ص 5.
44. مختار علي أبو غزالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1995.
45. مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981.
46. مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982.
47. مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
48. ميساء سليمان الإبراهيم، البنية السردية في كتاب الامتناع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011.
49. نبيل سليمان: أسرار التخييل الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2005.
50. نجيب العوفي: مقارنة الواقع في القصة القصيرة، المغربية من التأسيس إلى التجنيس، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
51. واسيني الأعرج: الطاهر وطار و تجربة الكتاب الواقعية، المؤسسة الوطنية، الجزائر.

52. ياسمينه صالح: "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا، تغريبة لخضر زرياب"، دار فضاءات نشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2017.

53. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي (في ضوء المنهج البنوي)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط3، 2010.

• المراجع المترجمة:

- 1- جان ايف تاديبه: الرواية في القرن العشرين : تر: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.
- 2- جوزيف كسينر: شعرية الفضاء الروائي، تر، لحسن أحمامة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2003.
- 3- جبرار جنيت وآخرون: الفضاء الروائي، تر عبد الرحيم حزا، إفريقيا الشرق، لبنان، ط1، 2000.
- 4- رولان بارت، هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، الأعمال الكاملة 5، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط1، 1999.
- 5- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هسا، دار الجاحظ للنشر (كتاب الأفلام)، بغداد، 1970.

• المعاجم والقواميس العربية:

- 1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1990، مادة (م، د، ن)، مج 13.
- 2- ابن منظور: لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ج م ع- مج 4، ج 28، 1919م.
- 3- أحمد مختار عمر و آخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب القاهرة، مج 1، ط1، 2008.
- 4- البستاني بطرس: محيط المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان مج 8 دط، دت.

- 5- سعيد علواش: معجم المصطلحات العربية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 1، 1985.
- 6- محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1999.
- 7- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مج1.

• المعاجم الأجنبية:

- 1- كريس باركر: معجم السرديات الثقافية، ثر: جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018.

• المجالات والدوريات والموسوعات:

- 1- مجلة اضاءات نقدية (فصيلة محكمة)، إيران، ع 8، 2012.
- 2- مجلة آفاق لعلم الاجتماع، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، ع 15، 2018.
- 3- مجلة الأقلام، الديوان، ع10، 2013.
- 4- مجلة الباحث، جامعة الأغواط، الجزائر، مج 07، ع2.
- 5- مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 20 أوت 55 سكيكدة، الجزائر، ع 17، ديسمبر 2014.
- 6- مجلة إنسانيات، ع 13، أبريل 2001.
- 7- مجلة دراسات و أبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مج: 12، ع: 12، 2020.
- 8- مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المسيلة، الجزائر، مج 13، ع2، 2021/09/15.

9- مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، ج 3: الفلسفية، ع 54، 2020.

• الرسائل الجامعية:

1- أسماء يوسف ديان صالح: الصورولوجيا في الرواية، دراسة مقارنة بين روايات عربية و أمريكية مختارة، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، 2014.

2- جوادي هنية: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية في الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012.

3- سليم بتقة : الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة) رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، جامعة لخضر، باتنة، 2010 /2009.

4- قرطي خليفة: المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1994 - 1995.

5- منتهى الحراحشة: الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة آل البيت، الأردن، 2000.

• المواقع الالكترونية:

- 1- [http://: www.mominoun.com](http://www.mominoun.com).
- 2- [https://www .b- sociologie com](https://www.b-sociologie.com).
- 3- [https://www .alantologia .com](https://www.alantologia.com).
- 4- <https://www.Moufker.com>
- 5- [https:// www. Geopratique.com](https://www.Geopratique.com)
- 6- [:https://www.alquds.com](https://www.alquds.com)
- 7- <https://www.benhedouga.com>
- 8- [https:// www.academia.edu](https://www.academia.edu)
- 9- <https://www.fikrmag.com>
- 10- <https://www.alquds.com>.
- 11- <https://www.syntanstory.com/y.salehe.html>.

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوعات |
|--|---|
| | إهداء |
| | شكر وعرفان |
| أ - د | مقدمة |
| 15 - 6 | مدخل |
| الفصل الأول: المدينة مفاهيم وتجليات | |
| 18 | أولاً: تعريف المدينة |
| 18 | 1- لغة |
| 19 | 2- اصطلاح |
| 22 | ثانياً: المدينة في الدراسات السوسولوجية والفلسفية والتاريخية والأدبية |
| 22 | 1- المدينة في الدراسات السوسولوجية |
| 25 | 1- المدينة في الدراسات الفلسفية |
| 31 | 2- المدينة في الدراسات التاريخية |
| 33 | 3- المدينة في الدراسات الأدبية |
| 34 | ثالثاً: المدينة وفضاء المغايرة |
| 34 | 1- المدينة و الإنسان |
| 38 | 2- المدينة والريف |
| 38 | رابعاً: المدينة في الخطاب الروائي |
| 41 | 1- المدينة في الرواية الغربية |
| 46 | 2- المدينة في الرواية العربية |

| | |
|---|--|
| 50 | خامسا: المدينة فضاء روائيا |
| 52 | 1- علاقة فضاء المدينة بالشخصية |
| 53 | 2-علاقة فضاء المدينة بالزمن |
| 54 | 3- علاقة فضاء المدينة بالحدث |
| الفصل الثاني: حضور المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا" | |
| 56 | أولا: تمثيلات صورة المدينة في رواية "في المدينة ما يكفي لتموت سعيدا" |
| 60 | 1- التمثيل العمراني |
| 64 | 2-1 التمثيل السوسيو ثقافي |
| 64 | 1-2-1 الظواهر الاجتماعية |
| 65 | ● البطالة |
| 66 | الفقر |
| 67 | الهجرة الغير شرعية |
| 68 | ● ظاهرة النزوح الريفي |
| 69 | ● الطبقيية والتهميش وغياب العدالة الاجتماعية |
| 74 | 1-2-2-الفئات الاجتماعية |
| 74 | ● فئة المتقنين |
| 74 | ● الفئة الحاكمة (السلطة) |
| 77 | ● فئة الموظفين والعمال |
| 78 | ● المرأة |
| 83 | 3- التمثيل السياسي |
| 86 | 4- التمثيل التاريخي |

| | |
|-----|---|
| 87 | ثانيا: التشكيل السردى لصورة المدينة فى روافة " فى المدينة ما يكفى لتموت سعفا" |
| 87 | 1- التقاطبات المكاففة لفضاء المدينة فى روافة " فى المدينة ما يكفى لتموت سعفا" |
| 88 | 1-1 الأماكن المفتوحة |
| 88 | - الشارع |
| 89 | - المفا |
| 91 | - المستشفى |
| 91 | 1-2 الأماكن المغلقة |
| 92 | - الجامعة |
| 94 | - المطعم ومحل الأحفة |
| 94 | - مستودع الأسلحة |
| 95 | 2- فضاء المدينة والشخصفة فى روافة " فى المدينة ما يكفى لتموت سعفا" |
| 101 | 3- المدينة والإفقاء الزمنى فى روافة " فى المدينة ما يكفى لتموت سعفا" |
| 110 | خاتمة |
| 113 | الملحق |
| 127 | قائمة المصادر والمراجع |
| 129 | فهرس الموضوعات |